الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة التاسعة والثلاثون
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

العدد
٤٧٣

كلمة الوعي

غياب المبدئية ولغة الأفكار عن الساحة الدولية وخطاب الزعماء يمهد لما بعد

محرر الوعي

تفكُّكُ سلاسلِ التوريدِ ونهايةُ العولمة

الأستاذُ نبيل عبد الكريم

نهاية الهيمنة الأميركية

وصعود الفراغ الجيوسياسي في الشرق الأوسط قراءة في التحوّل العالمي من «نموذج الشرق الأوسط الأميركي» إلى عالم ما بعد القطبية

البروفيسور محمد ملكاوي

حزب التحرير...

دعوةٌ إلى الوحدة أم إلى الفرقة؟!

الأستاذ يوسف أرسلان

من العجز المانع إلى القدرة المُسقطة للعذر: الاستطاعة وأثرها في وجوب إعلان قيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الحلقة الخامسة والأخيرة

الأستاذ ثائر سلامة

سورة الفتح

الأستاذة سُلافة شومان رحمها الله

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

• كلمة الوعي: غياب المبدئية ولغة الأفكار عن الساحة الدولية
وخطاب الزعماء يمهد لما بعد — محرر الوعي — ٣

• نهاية الهيمنة الأميركية وصعود الفراغ الجيوسياسي في الشرق الأوسط
قراءة في التحوّل العالمي من «نموذج الشرق الأوسط الأميركي»
إلى عالم ما بعد القطبية — البروفيسور محمد ملكاوي — ٧

• من العجز المانع إلى القدرة الـمُسقطة للعذر:
الاستطاعة وأثرها في وجوب إعلان قيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة
الحلقة الخامسة والأخيرة — الأستاذ ثائر سلامة — ١١

• تفكُّكُ سلاسلِ التوريدِ ونهايةُ العولمة — الأستاذُ نبيل عبد الكريم — ٢٦

• حزب التحرير... دعوةٌ إلى الوحدة أم إلى الفرقة؟! — الأستاذ يوسف أرسلان — ٣٠

• سورة الفتح — الأستاذة سُلافة شومان — ٣٨

• رياض الجنة: أخلاقُ الرسول ﷺ — الأستاذ بهاء الدين الحسيني — ٤٢

• أخبار المسلمين في العالم — ٤٤

• مع القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ — الأستاذ إبراهيم سلامة — ٤٩

• كلمة أخيرة: كيان يهود كيان لقيط قائم بحبل من الناس ويوشك أن ينقطع بعد أن انقطع حبل الله — ٥٠

• غلاف أخير: المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظلِمُه ولا يُسلِمُه — ٥٢

غياب المبدئية ولغة الأفكار عن الساحة الدولية وخطاب الزعماء يمهد لما بعد

لم تكن المبادئ والقيم والخطاب الأيديولوجي مجرد شعارات جميلة تطلقها الدول والزعماء عبر التاريخ لمجرد الظهور بالمظهر اللائق أمام الآخرين، بل هي قبل ذلك تشكل مادة للدول والقادة لدعوة البشرية لاعتناقها والالتفاف حولها، فتخولهم تلك المادة بعد أن تتحول إلى قناعات ورأي عام إلى استعمال القوة إن لزمت لفرضها على القلة الذين يبقون في وجهها ويمانعون الخضوع أو القبول بها.

فالرأسمالية مثلا جاءت بعد عصر الإقطاعية والثيوقراطية بأفكار من مثل حرية الأفراد في تحقيق مصالحهم الشخصية دون تدخل من قبل الدولة، والمنافسة الحرة بين المؤسسات والأفراد، ومبدأ المنفعة الشخصية، والتوازن والتناغم ما بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، وحياد الدولة في النشاط الاقتصادي وغيرها، وصنعت لنفسها رأيا عاما عالميا بأنها مع الحريات وضد الاستبداد والطبقية والإقطاعية التي كانت شعوب أوروبا وأمريكا تكتوي بها، فأقبلت عليها الشعوب وبدأت تطيح بالأنظمة القديمة والدكتاتورية لتحل محلها حكومات منتخبة بهامش حرية ونظام ملكية أحس الكثيرون بأنه قد ينصفهم، ثم بعد ذلك تشكلت قناعات بها عابرة للحدود وبات حملة الفكر الرأسمالي يجدون لأنفسهم مدخلا ومبررا لاستعمال القوة لفرض فكرتهم وسوق الشعوب إليها.

ثم نشأت الاشتراكية ومنها الشيوعية التي جاءت بأفكار استهوت الشعوب الفقيرة والمضطهدين والضعفاء الذين صنعتهم الرأسمالية وخلفتهم ناقمين على ما آلوا إليه من جراء تطبيقها عليهم، وبدأت الشعوب والتيارات تتقبل فكرة الشيوعية لظنها أنها قد تجد فيها ما ينصفها من أولئك الرأسماليين والنخب الحاكمة الذين أهلكوهم وامتصوا دماءهم، وفعلا تشكل رأي عام في دول أوروبا الشرقية وروسيا والشرق الأوسط، وبدأ حكام الشيوعية يجدون قبولا لدى الشعوب لاستعمال القوة من أجل نشر أفكارهم التي روجوا لها على أنها لإنقاذ الشعوب.

ثم سرعان ما تبدد الوهم وبان عوار الاشتراكية والشيوعية وفسادها، فعاد الغرب بالرأسمالية بحلته الجديدة، الديمقراطية والحريات العامة، ليعيد تأطير العالم بفكرته وتشكيل هيئات ومؤسسات دولية حافظة لتلك المفاهيم وناشرة لها، وتزعمت أمريكا المعسكر الغربي في صراعه مع المعسكر الشرقي الذي كانت تتزعمه روسيا، فكانت الغلبة لأمريكا والغرب، وصنعوا لأنفسهم المبرر والرأي العام العالمي الذي يبرر لهم التدخل في شؤون الدول والشعوب واستعمال القوة والعقوبات

من أجل نشر الديمقراطية والحريات المزعومة. وهكذا وصولا إلى ما نحن عليه هذه في السنوات والتي نحن بصدد تسليط الضوء على ما أصابها من تغيرات.

فالقصد أن روسيا تزعمت المعسكر الشرقي الشيوعي الذي نافس المعسكر الغربي وكاد يهزمه في لحظة ما أو تساوى معه، وكانت قد وصلت إلى تلك المكانة من خلال الخطاب الأيديولوجي والقيم والأفكار التي روجت لها على أنها منقذة للبشرية والشعوب، ولم تكن لتستطيع جمع الدول والشعوب حولها لولا تلك الأفكار والمفاهيم. ثم بعد ذلك لما تزعمت أمريكا الغرب تزعمته بكونها حاملة راية الديمقراطية وحقوق الإنسان وسياسات السوق الحر والحريات، فجمعت حولها الشعوب الغربية والدول لتواجه المد الشيوعي وتهزمه في النهاية، فهي لم تجمعهم بالقوة أو الوجاهة بل بالخطاب الأيديولوجي والقيم والأفكار.

وفي المقابل لم تستطع الصين مثلا أن تتزعم العالم أو جزءا منه أو حتى منطقة إقليمية وتقودها نحو أهدافها وطموحاتها، لأنها لم تتبنّ فكرا أيديولوجيًا وتروج له، بل كانت تدور حول روسيا ومعها إبان الشيوعية، ثم لحقت بالغرب وشكلت مزيجا فاشلا من الرأسمالية والشيوعية بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي، ولذلك لم تستطع الصين تزعّم العالم أو دول ذات وزن وشأن رغم كبر مساحتها وعدد سكانها الضخم وثرواتها وحديثا تطورها واقتصادها.

فمسألة قيادة العالم والشعوب أو جزء منها مسألة تتعلق بمدى قدرة القائد والدولة على حشد الآخرين حولهم بما لديهم من أفكار وحضارة يتقبلها الآخرون أو يعتنقونها. فالمسلمون قادوا العالم من قبل وبقيت دولة الإسلام الدولة الأولى في العالم لأكثر من عشرة قرون، بفكرهم وحضارتهم وقيمهم التي كانت تسبق سيفهم واقتصادهم وقوتهم.

فالأمم والشعوب ليست قطيع أغنام يساق بالعصا، فقد تتمكن من إخضاع بعض الشعوب أو الدول لمدة ما أو في مرحلة ما ولكنك لن تستطيع قيادتهم أو حملهم على الالتفاف حولك طويلا، إذ سرعان ما تخرج الأمور عن السيطرة ويجد الآخرون فرصة للانعتاق والخلاص من الطوق والعصا.

والناظر هذه الأيام في خطاب قادة أمريكا والغرب، لا سيما الرئيس الأمريكي دونالد وترامب وطاقمه في البيت الأبيض يلمس غياب الخطاب الأيديولوجي والفكري مع العالم وشعوبه، فلم تعد أمريكا تروج لنفسها على أنها حاملة الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان وحاميتها في العالم كما كانت تزعم منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، بل الخطاب هذه الأيام خطاب منطق القوة والغطرسة

والمصالح الذاتية، فهو يسوّق لما يتخذه من قرارات وما يطرحه من مشاريع بمنطق أنه الأقوى والقادر على فرض ما يريد على البقية. وحتى حلفاء أمريكا التاريخيون، دول أوروبا، هاجمهم ترامب ووصفهم بالضعفاء والذين لا يستطيعون فعل شيء سوى الكلام. إذ وصف ترامب القادة الأوروبيين في مقابلة مع مجلة بوليتكو بأنهم ضعفاء ويفتقرون للحسم، مشيرًا إلى أن سياساتهم تتسم بالتصحيح السياسي الزائد، ما يجعل القارة عاجزة عن إدارة ملفات حيوية مثل الهجرة والنزاعات الإقليمية. وقال: «أعتقد أنهم يريدون أن يكونوا على قدر كبير من الصوابية السياسية، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون. أوروبا لا تعرف ماذا تفعل«.

بينما أبدى إعجابه بالرئيس التركي أردوغان والرئيس السوري أحمد الشرع وولي العهد السعودي محمد بن سلمان والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، من منطلق أنهم أقوياء!.

فقد أكد استمرار ثقته بالرئيس السوري أحمد الشرع بعد الهجوم الذي وقع في سوريا وأدى إلى مقتل جنود أمريكيين، واصفاً إياه بالرجل القوي. وكذلك قال ترامب في محادثة له مع أردوغان، قبل قمة غزة في مصر، مخاطبا مترجم أردوغان: «يا صديقي، هل تعلم مدى قوة هذا الرجل؟ أنا أحبه. أنا أحبه حقا»، واصفا إياه بأنه «رجل قوي جدًا.«

وحتى الرئيس الروسي بوتين الذي يفترض أن يكون محل انتقاد وهجوم من ترامب وإدارته، فقد أظهر ترامب إعجابه به لأنه قوي، إذ رأى مسؤول كبير سابق في الإدارة الأميركية أن ترامب معجب ببوتين لأنه قوي، ويتمتع بسيطرة كاملة على بلاده، وأضاف أن الرئيس الأميركي يميل إلى حب القادة الأقوياء أكثر من غيرهم.

وكذلك ابن سلمان وأمير قطر فقد أبدى ترامب إعجابه بهما لقوتهما الاقتصادية وقدراتهما المالية.

فمركز تنبه الإدارة الأمريكية وتركيزها هو على القوة والمال والاقتصاد، وهو ما لا يخفيه ترامب وطاقمه الإداري، وهو ما يطغى على خطاباتهم وتحركاتهم، وحتى الرحم الذي خرج منه ترامب وطاقمه الجديد فهو رحم الماغا MAGA وشعارها «لنجعل أمريكا عظيمة مجددا»، الذي يحمل في طياته الانغلاق على الذات، مما يجعله شعارا فئويا أول ما يؤدي إليه هو نبذ كل من ليس أمريكيا، حسب معايير ترامب ومناصريه. وهو ما تترجمه الأحداث وأبرزها حملات دائرة الهجرة والجمارك ICE التابعة لوزارة الداخلية التي باتت سيئة السمعة عالميا، رغم أنها مؤسسة حكومية

محلية. فالعالم كله لا بد أن يتابع ويقيس مكانة الدولة الأولى وزعامتها باستمرار.

واليوم أمريكا وما تقوم به بات لا يمتّ بصلة إلى القيم والمبادئ والخطاب الأيديولوجي الذي أوصل أمريكا الى عرش الدولة في العالم. وهذا يعني حتما انفضاض الدول والشعوب من حول أمريكا وزعامتها، والبدء باتخاذ مسارات وتوجهات بديلة من الالتفاف حول أمريكا. وهذا الأمر كما يصح على أمريكا فهو من باب أولى يصح على دول أوروبا وباقي الدول الكبرى التي لم تكن أصلا قد وصلت إلى مستوى أمريكا في تزعمها للعالم والشعوب، وهي أضعف وأسوأ حالا من أمريكا وقادتها.

فدول أوروبا وهي الأقرب إلى الفكر الغربي الذي تزعمته أمريكا، بدأت تتخذ مسارات ومخططات بعيدا من أمريكا شيئا فشيئا، في سياسة الدفاع والاقتصاد والمواقف السياسية من القضايا العالمية، ولكن لضعفها لم تستطع أن تبتعد كثيرا لغاية الآن، ولكنها مسألة وقت لا أكثر. وكذلك دول أمريكا اللاتينية والصين والهند وباقي دول العالم، كُلا بمقدار قدرته على التفلت وتوفر البدائل المؤقتة، إلى حين بروز قيادة جديدة للعالم تعيد قيادته بما تحمله من قيم وأفكار تجمع الشعوب وتستقطب الدول.

ولا شك أن المرشح الوحيد ضمن الواقع المنظور والمتوقع هو دولة الإسلام القادمة، فهي المؤهلة حقيقة لتستعيد قيادة العالم واستقطاب الشعوب بما تحمله من مبدأ وقيم بات العالم في أمسّ الحاجة إليها بعد أن عاشت أجيالٌ وأجيال ضنك العيش وقهر الرأسمالية والاشتراكية. وإذ ما استمر الغرب وعلى رأسه أمريكا في تخليه عن الخطاب الأيدولوجي ولغة المبدأ والقيم وهذا أمر مرجح، فإنه بذلك يعجل من سقوطه وتقهقره أمام صعود الإسلام وتنامي الرغبة والإرادة لإعادته إلى سدة الحكم والقيادة.

فما يحصل في العالم هذه الأيام يؤسس لما بعد، اندثار القيادات الحالية التي أفلست ولم يبق لديها ما تقدمه لشعوبها وشعوب العالم، وبروز قيادة جديدة للعالم لتتزعمه ولتلتف الشعوب حولها، ونحن عندما نتحدث عن الإسلام بديلا حضاريا وقياديا للعالم نتحدث عن حضارة وقيادة لها تاريخ وعراقة وتجربة شهدت لها البشرية من قبل. فالمسألة باتت مسألة وقت لا غير. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.■

نهاية الهيمنة الأميركية وصعود الفراغ الجيوسياسي في الشرق الأوسط

قراءة في التحوّل العالمي من «نموذج الشرق الأوسط الأميركي» إلى عالم ما بعد القطبية

البروفيسور محمد ملكاوي

مقدمة: زمن الأفول

منذ نهاية الحرب الباردة، بدا أنّ الولايات المتحدة قد بلغت ذروة سيطرتها على العالم. فقد تفكّك الاتحاد السوفييتي، وانهارت المنظومات الاشتراكية، وأُعلنت «نهاية التاريخ» كما بشّر فوكوياما، ليصبح النظام الليبرالي الأميركي هو القالب الوحيد الممكن لتنظيم العالم. لكن الشرق الأوسط - المنطقة التي بُنيت عليها أعمدة تلك الهيمنة - هو نفسه الذي يكشف اليوم تصدّع هذا البناء.

إنّ العقدين الأخيرين من القرن الحادي والعشرين يكشفان تحوّلًا جذريًا: **انكفاء أميركي متسارع، وتفكك للنظام الإقليمي الذي قامت عليه السيطرة الغربية منذ سبعين عامًا.** وهو ما يصفه هذا الكتاب بأنه "صعود الفراغ الجيوسياسي في الشرق الأوسط"، فراغٌ لا يعني غياب القوى، بل غياب القدرة على الضبط، واهتزاز منظومة النفوذ التي كانت تبدو راسخة.

من القمة إلى الانكفاء

في تسعينيات القرن الماضي، كانت واشنطن تتصرف كحاكم منفرد للنظام الدولي. فهي التي تقرّر الحرب والسلام، وتفرض العقوبات، وتُسقط الأنظمة، وتعيد بناء الدول. لكن الحروب التي خاضتها لاحقًا، من أفغانستان إلى العراق إلى «الحرب على الإرهاب»، تحوّلت من أدوات للهيمنة إلى **مصانع للأزمة**. خرجت منها منهكة، عاجزة عن فرض النظام، فاقدة للثقة، ومثقلة بالكلفة الاقتصادية والأخلاقية.

يقول المؤلف في تحليله إنّ "نهاية الإمبراطوريات لا تبدأ من الخارج، بل من لحظة الإدمان على القوة." وقد أصيبت واشنطن بهذا الداء حين ظنّت أن السيطرة يمكن أن تكون أبدية، وأنّ المال والإعلام والسلاح كفيلة بتجميد التاريخ.

لكنّ الأحداث، من انهيار كابول إلى انكسار النفوذ الأميركي في العراق وسوريا واليمن، أظهرت أن القوة، حين تُستعمل بلا مشروع أخلاقي، تتحوّل إلى عبء على صاحبها.

سقوط «نموذج الشرق الأوسط الأميركي»

يبين الكتاب أنّ الركيزة المركزية للهيمنة الأميركية كانت ما يُعرف بـ«نموذج الشرق الأوسط (٤+٢)» أي إدارة المنطقة عبر أربع قوى إقليمية (إيران، وتركيا، والسعودية، وإسرائيل)

تحت إشراف قوتين دوليتين (الولايات المتحدة وروسيا). كانت هذه المعادلة تضمن لواشنطن السيطرة على خطوط الطاقة، ومنع أي تحالفات عابرة، وإبقاء الصراع ضمن "سقفٍ يمكن التحكّم به".

لكنّ هذه المعادلة بدأت بالانهيار من داخلها:

- **تركيا** انزلقت تدريجيًا من محور الأطلسي إلى محورٍ مستقل متذبذب بين موسكو وبكين.
- **إيران** صمدت أمام الحصار ووسّعت نفوذها في العراق وسوريا ولبنان واليمن.
- **السعودية** بدأت تنوّع تحالفاتها بعد أن فقدت الثقة بالضمانة الأمنية الأميركية.
- **إسرائيل** غرقت في تناقضاتها الداخلية، وفي مواجهة مفتوحة في غزة ولبنان والضفة، ما كشف حدود تفوقها العسكري.

أما روسيا، فبعد تدخلها العسكري في سوريا عام ٢٠١٥، لم تبق «الضامن الثانوي»، بل أصبحت **الندّ السياسي والعسكري لواشنطن في قلب المنطقة**. وبذلك، تآكلت أركان النظام الأميركي من داخله، حتى باتت واشنطن عاجزة عن فرض إرادتها على حلفائها قبل خصومها.

الفراغ الجيوسياسي: عندما تغيب اليد التي تضبط

ما يسميه المؤلف "الفراغ الجيوسياسي" ليس فراغًا في الوجود المادي للقوى، بل في القدرة على **التحكم في توازناتها**. فالقوة الأميركية ما تزال هائلة، لكنها باتت غير قادرة على تحديد اتجاه الأحداث. لقد فقدت واشنطن عنصرها الأهم: الهيمنة السردية.

في السابق، كانت كلّ أزمة تُقرأ من خلال الرواية الأميركية، من حروب الخليج إلى ما سُمّي بالربيع العربي. أما اليوم، فقد تَفكّك هذا الاحتكار الإعلامي والسردي؛ إذ باتت الشعوب تملك منصاتها، والعالم يشاهد صور الحرب على غزة أو أوكرانيا أو السودان من زوايا متعددة، لا من عدسة البيت الأبيض وحده.

هذا الفراغ لا يُملأ بالضرورة بقوةٍ جديدة، بل قد يُحوّل المنطقة إلى **مسرح تنافسٍ مفتوح** بين قوى متعدّدة: روسيا والصين من جهة، وإيران وتركيا من جهة، والفاعلين غير الدوليين من جهة أخرى.

لكنّ المؤلف يرى في ذلك **فرصة تاريخية نادرة**، لأن انكفاء الهيمنة الأميركية يفتح الباب لإعادة تعريف النظام الإقليمي على أسسٍ جديدة.

الشرق الأوسط في عالمٍ متحوّل

في عالم ما بعد القطبية، تحول الشرق الأوسط عن كونه مجرّد ساحةٍ جانبية، بل بات ميدانًا محوريًا لإعادة تشكيل النظام الدولي. فحروب الطاقة والممرات البحرية والتكنولوجيا

والبنية التحتية تمرّ جميعها من هنا.

لكن الفارق أن الدول الإقليمية - بعد عقود من التبعية - بدأت **تكتسب الوعي الجيوسياسي** وتبحث عن استقلال القرار.

يحلّل المؤلف أن "الجيل الجديد من القادة في المنطقة بات لا يرى في واشنطن المرجع الوحيد للأمن، بل مصدرًا من مصادر الخطر." ومن هنا تنشأ ظاهرة التحالفات المرنة:

- تقارب سعودي- إيراني برعاية صينية.
- انفتاح تركي-مصري تدريجي.
- دخول الهند والصين والإمارات وروسيا في تكتلات اقتصادية جديدة (مثل البريكس).

كلّ ذلك يعيد رسم الخريطة الذهنية للمنطقة؛ إذ لم تستمر "الولاءات" ثابتة، ولا "المحاور" مغلقة. لقد بدأ الشرق الأوسط - ولأول مرة منذ قرن - **يفكّر خارج خريطة سايكس-بيكو**، ويبحث عن توازناتٍ يصنعها بنفسه.

أوهام القوة: حين تعجز الإمبراطورية عن التراجع

المفارقة التي يلتقطها الكاتب بذكاء هي أن **الولايات المتحدة تدرك أفولها، لكنها لا تعرف كيف تتراجع**. فالإمبراطوريات الكبرى لا تموت حين تُهزم، بل حين تُصرّ على أن تبقى كما كانت.

ومن هنا تأتي سياسات واشنطن المتخبطة:

- انسحاب من أفغانستان بلا إستراتيجية.
- عقوبات متكررة تفقد فاعليتها.
- دعم مطلق لإسرائيل رغم كلفته الأخلاقية والسياسية.
- محاولات استعادة النفوذ عبر تحالفات مصلحية قصيرة الأجل.

لكنّ هذه السياسات لم تعد تُنتج الهيمنة، بل **تُعمّق الشعور العالمي بالحاجة إلى بديل**. وهكذا، تصبح كلّ خطوة دفاعية لأميركا خطوةً إضافية نحو تقويض نفوذها.

صعود الفراغ أم بدايات نظام جديد؟

يطرح المؤلف سؤالًا جوهريًا: هل نحن أمام فراغٍ جيوسياسي فعلاً، أم أمام **مخاض ولادة نظام جديد متعدد المراكز؟**

في نظره، الفراغ ليس دائمًا خطرًا؛ فقد يكون لحظة تأسيسٍ جديدة. فالهيمنة الأميركية كانت قد جمدت التاريخ في المنطقة، وأبقت التوازنات مصطنعة. أما اليوم، فإنّ اهتزازها يتيح عودة الفعل الذاتي للأمم، ويفتح الباب أمام نظامٍ إقليميّ أكثر طبيعية، يقوم على **تعدد القوى لا تبعيتها**.

لكن هذا الاحتمال - كما يوضح الكاتب - يظلّ مشروطًا بقدرة الشعوب على إنتاج مشروعها الحضاري المستقل، لا مجرّد التماهي مع أقطابٍ جديدة. فإذا انتقل الشرق الأوسط من التبعية لواشنطن إلى التبعية لبكين أو موسكو، فإن الفراغ لن يُملأ، بل سيتبدّل شكله

فقط.

الإسلام السياسي والعودة إلى الذات

في خضم هذا التحوّل، يرى المؤلف أن **الفراغ الأكبر ليس في السياسة، بل في الفكرة.** فغياب الهيمنة الأميركية أفسح المجال أمام قوى إقليمية، لكنه لم يُنتج بعد مشروعًا حضاريًا متماسكًا.

ومن هنا يعود السؤال القديم بصيغة جديدة: هل تستطيع الأمة الإسلامية أن تقدّم رؤيتها الذاتية للعالم؟

إنّ الحركات الإسلامية، رغم ما واجهته من تهميش وقمع وتشويه، ما تزال تمثّل الخزان الأخلاقي والروحي الذي يمكن أن يملأ هذا الفراغ. لكن المؤلف يحذّر من أن العودة إلى الذات لا تعني الانغلاق أو الرومانسية التاريخية، بل تعني **تحويل الفكرة الإسلامية إلى مشروعٍ سياسيّ معاصر قادر على المنافسة الدولية**، أي ما يسميه النموذج ١+٠: نظام وحدةٍ ذاتية لا يحتاج إلى ضامن خارجي.

نهاية الهيمنة وبداية التاريخ الجديد

في خاتمة الكتاب، يقدّم المؤلف خلاصة فكرية تتجاوز الشرق الأوسط إلى النظام العالمي كله:

"لقد انتهى زمن الإمبراطوريات التي تدير العالم من مركزٍ واحد. العالم يدخل الآن مرحلة اللاقطبية، حيث تُصنع الموازين بالتفاعل لا بالفرض."

هذه اللحظة - لحظة سقوط الهيمنة الأميركية - ليست مجرّد حدثٍ سياسي، بل **منعطف حضاري** يعيد تعريف القوة والمعنى. فحين تنكفئ واشنطن، لا يبقى السؤال: من سيملأ الفراغ؟ بل: أيّ فكرةٍ ستقود العالم بعد أفول الفكرة الليبرالية الغربية؟

وفي هذا السؤال، كما يرى المؤلف، **تكمن فرصة الأمة الإسلامية التاريخية** لتقدّم للعالم نموذجًا بديلًا يُوازن بين الروح والعدالة والعقل، وينقذ البشرية من دوامة الاستهلاك والتفكك التي أنتجتها حضارة المنفعة.

خاتمة: الفراغ ليس نهاية

الهيمنة الأميركية كانت تشبه سقفًا منخفضًا فوق شعوب المنطقة: يحميها من العاصفة، لكنه يمنعها من النهوض. أما اليوم، فرغم الفوضى والدماء، بدأ هذا السقف يتصدّع.

وقد يكون سقوطه - رغم الخطر - بداية التاريخ الحقيقي للمنطقة.

فالفراغ، كما يكتب المؤلف، "ليس نهايةً للزمن، بل نهايةً للجمود." وما لم تُملأ هذه المساحة بمشروعٍ ذاتيّ عادل، فسيملؤها آخرون بمشاريعهم. لكنّ اللحظة الحالية تمنح الشرق الأوسط - لأول مرة منذ قرن - **فرصة أن يصوغ توازنه بنفسه، لا أن يُعاد تشكيله من الخارج.**

وهكذا، فإنّ نهاية الهيمنة الأميركية ليست مأساة للعالم، بل بداية لتاريخٍ جديد...

تاريخٍ قد يكتبه الشرق هذه المرة، لا أن يُكتب فيه فقط.■

من العجز المانع إلى القدرة الـمُسقطة للعذر:
الاستطاعة وأثرها في وجوب إعلان قيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة
الحلقة الخامسة والأخيرة **الأستاذ ثائر سلامة**

من يملك البذور يملك القرار: الأمن الغذائي، سلاحًا وحصانةً في مواجهة الحصار

تمهيد: عقيدة الحصار بعد أفول «الحرب الخاطفة»

بعد عقودٍ من التجارب المكلفة في الحروب المباشرة، بات الخيار المرجّح لدى القوى الغربية هو إدارة الصراع مِن بُعد عبر حصارات اقتصادية ومالية وتكنولوجية، وتحوير سلاسل الإمداد، بدلًا من الغزو واسع النطاق. في هذا السياق يتقدّم الغذاء -ولا سيما القمح- بوصفه ذخيرةً إستراتيجية صامتة: يتحكم بمنابع الاستيراد، بعقود الشراء والتمويل، وبقواعد الملكية الفكرية للبذور، وبهيكلة الحوافز الزراعية، فتُصاغ تبعية مستقرة بلا دبابة واحدة.

كيف صيغت التبعية الغذائية تاريخيًا؟

١) التجارة المشروطة والمعونة الغذائية: ضبطٌ طويل الأمد لمنافذ الشراء والتمويل، وربط الإمدادات بشروطٍ سياسية واقتصادية داخلية.

٢) قواعد البذور والملكية الفكرية: حماية الأصناف النباتية وبراءات الاختراع التجارية، بما يحدّ من قدرة الفلاحين على إعادة بذر صنفٍ محميّ دون ترخيص، ويدفع تدريجيًا إلى استبدال البذور المحلية بأصنافٍ تجارية.

٣) هندسة التركيب المحصولي: تشجيع زراعاتٍ نقدية للتصدير (خضر/فاكهة/زهور) على حساب الحبوب والبقول، فتتضخم فجوة القمح، ويصبح رغيف الخبز معرّضًا للاهتزاز مع أي صدمة خارجية.

٤) البنية التحتية للمطاحن والموانئ: حيثما تمركزت في عقدةٍ واحدة ضعفت القدرة على المناورة زمن الأزمات (انقطاع وقود، تعطل ميناء/صومعة، تقلب عملة).

أمثلة عربية دالّة

مصر: تحوّلٌ تدريجي من قاعدة قمحية واسعة إلى اعتمادٍ ثقيل على الاستيراد، مع استمرار منظومة الخبز المدعوم بوصفها صمام أمان اجتماعي، لكنها رهن تقلبات السعر العالمي والسوق الآني.

العراق في التسعينيات: حصار ممتدّ، لجأت الدولة إلى نظام توزيعٍ عام (بطاقة تموينية وسلّة غذائية موحّدة) حافظ على حدٍّ أدنى من السعرات، ثم «النفط مقابل الغذاء» لتأمين تمويلٍ مراقَب. التجربة أظهرت أن الإدارة الصارمة للمخزون والتوزيع قادرة على تقليص الكارثة، لكنها لا تُغني عن بناء قدرة إنتاج محلية.

سوريا: كانت قريبةً من الاكتفاء القمحي قبل الحرب؛ ثم أتت سنوات الجفاف وتقطّع الجغرافيا وتراجع الوقود لتضغط على الإنتاج والتوريد. ومع ذلك ظلّت القدرة الكامنة -أرضًا وخبرةً وبذورًا محلية- قابلةً للاستنهاض إذا توفّرت حوكمةٌ فعّالة.

خطورة ملف الغذاء على الدولة الإسلامية الناشئة: أي حصارٍ شامل سيستهدف أربع دوائر متداخلة: الحبوب (قمح/شعير)، الطاقة والوقود لسلاسل الطحن والخبز، العملة والتمويل لعقود الاستيراد، والسردية (تأليب الرأي العام عبر ارتفاع الأسعار). وإن انهيار واحدٍ من هذه الحلقات يكفي لإحداث اضطرابٍ سياسي. لذا يصبح الأمن الغذائي أولوية سيادية لا تُدار بمنطق السوق الحرّ بمفرده، بل بمنظومة سياسات متماسكة.

المبادئ المؤسِّسة للسيادة الغذائية:

سيادة البذور: تمكين المزارعين قانونيًا وعمليًا من حفظ وإكثار البذور المحلية المفتوحة التلقيح، وإنشاء مصارف بذور مجتمعية وإقليمية.

الماء والطاقة: حماية ريّ الحبوب والبقول وتوليد طاقةٍ لامركزية (شمسي/ديزل طوارئ) لسلسلة الطحن والخبز.

الأرض والتخطيط المحصولي: إعادة وزن المساحات نحو القمح والشعير والعدس والحمص (حِزمة أمن غذائي وبروتيني)، وتدوير محاصيل يقلّ استهلاكها للماء وتتحمّل الجفاف.

سلسلة الإمداد: صوامع موزعة، مخزون تشغيلي مرن، قطع غيار للمطاحن والأفران، وخطط نقل بديلة داخلية.

الحوكمة السعرية والاجتماعية: سعر شراء حكومي محفِّز للقمح المحلي، وسقوف أسعار للخبز، وبرنامج دعمٍ موجّه يحمي الفئات الهشّة دون تخريب الحوافز الإنتاجية.

خطة الاستجابة تحت الحصار: من اليوم الأول إلى ثلاث سنوات

الأيام ٠-٩٠: الصمود السريع

جردٌ وطني للمخزون من الحبوب والدقيق والوقود وقطع الغيار، وتحديد الاستهلاك الوسطي/فرد ومعدل السحب الآمن.

نظام بطاقات تموينية يضمن حدًّا أدنى من السعرات، مع إشراك المطاحن والأفران الخاصة كمقاولين وطنيين.

رفعٌ مؤقت لنِسَب استخلاص الدقيق ومزجه تدريجيًا بحبوبٍ محلية (شعير/ذرة/سُرغُم) دون المساس بالأمن الصحي.

مكافحة الاكتناز والتهريب بإجراءات قانونية ورقابية ذكية، وربط المخابز بالدعم مقابل الالتزام بالكوتا والجودة.

خريطة ضعفٍ فورية لسلاسل الإمداد: المطاحن الحرجة، جسور، صوامع، محاور نقل؛ وتخصيص وقود طوارئ لها.

الأشهر ٣-١٢: توسيع العرض المحلي سريعًا

إكثار بذور محلية عبر شبكات القرى والبلدات، وتأسيس وحدات تنظيفٍ وتعبئةٍ بسيطة لضمان نقاوة الصنف.

مضاعفة المساحات البعلية من الشعير

والحبوب المتحملة للجفاف، والتوسع في البقول لتحسين الأمن البروتيني وتقليل الطلب على القمح.

عقود توريد حكومية بسعرٍ مُعلَن للقمح والشعير تشجّع التسليم للصوامع الرسمية، مع دفعاتٍ مسبقة للمدخلات (بذار/سماد).

طاقة الريّ: نشر مضخات شمسية صغيرة حيث أمكن، وإعادة تأهيل قنواتٍ حرجة، وترشيد جداول الريّ.

تحسين التخزين الريفي (صوامع قمعية، تهوية، مكافحة آفات) لتقليل فاقد ما بعد الحصاد.

السنوات ١–٣: التحصين البنيوي والسيادة المستدامة

قانون بذور وطني يكرّس حق الفلاح في حفظ وإعادة بذر الأصناف غير المحمية، وينظم تداول الأصناف المحمية بعقودٍ عادلة؛ مع برنامج تسجيلٍ وطني للأصناف المحلية.

ترميم منظومة الريّ الكبرى (حيثما وُجدت) وتقليل فاقد المياه، واستصلاح التربة المالحة، وتوسيع إنتاج الأسمدة العضوية والكمبوست.

تنويع منافذ الاستيراد بعقود آجلة مرنة ومقايضاتٍ سلعية (حبوب مقابل منتجاتٍ محلية)، وطرق توريدٍ بديلة وممراتٍ إنسانية مع استثناءاتٍ غذائية.

مؤشرات إنذار مبكر: نسبة تغطية الاحتياطي (أشهر استهلاك)، طاقة الطحن المتاحة/المطلوبة، زمن توريد الوقود، كلفة سلة الغذاء، ومعدلات فاقد ما بعد الحصاد.

سوريا: قابلية الأزمة للإدارة لا للخنق: تملك سوريا قاعدةً زراعيةً معتبرة، خصوصًا في الشمال الشرقي، مع خبرةٍ تاريخية في القمح والشعير والبقول. ورغم تراجع الإنتاج بفعل الحرب والجفاف والوقود، فإن القدرة الكامنة لا تزال موجودة: استنهاض البذور المحلية وأنظمة إكثارٍ ريفية، توسيع الحبوب البعلية والبقول سريعًا، حماية سلسلة الطحن/الخبز بالطاقة والوقود وقطع الغيار، حوكمة توزيع تقلّص الصدمة السعرية. بهذه الحزمة يمكن تحويل الحصار إلى ضغطٍ قابل للإدارة بدل الخنق.

العراق: درس الإدارة تحت النار: أظهر العراق أن نظام توزيعٍ قُطريًا منضبطًا يستطيع تقليل التجويع واسع النطاق رغم قسوة العقوبات، شريطة: وجود مخزونٍ مُدارٍ مركزيًا، شبكة توزيعٍ عادلة بلا "تسرّب"، سعر مدخلاتٍ محلي يحفّز الفلاح على التسليم للدولة، ومرونةٍ في صيغة التمويل (مقايضة/بيع مُراقَب) لحماية الحد الأدنى الغذائي.

مخاطر يجب تحييدها:

تسييس الرغيف: تحويل الدعم إلى أداة ولاءٍ لا أمانٍ غذائي يخلق سوقًا سوداء.

التركيز الجغرافي: تمركز الصوامع أو المطاحن أو نقاط الدخول يزيد هشاشة السلسلة.

قوننة تخنق الإنتاج: نقل قوانين بذورٍ صارمة دون استثناءاتٍ صغيرة يطرد الفلاح من صنفه المحلي إلى تبعيةٍ تجارية.

انقطاع الطاقة: أي تعطلٍ طويل للكهرباء/

الوقود يوقف الطحن والخبز حتى لو توافر القمح.

خاتمة: من السلاح الصامت إلى مناعة الدولة: سيحاول الغرب -حين يعجز الحسم العسكري السريع- أن يختبر جدار الدولة الناشئة من بوابة الغذاء: القمح والبذور وسلاسل الإمداد والتمويل والسردية. والردّ الرشيد ليس في الشعارات، بل في هندسة مناعةٍ غذائية تقوم على سيادة البذور، وتوطين الحبوب والبقول، وحوكمة المخزون والتوزيع، وتحصين الماء والطاقة، وتنويع منافذ التوريد. هكذا يُجرَّد "سلاح القمح" من أثره الخانق، ويتحوّل الحصار الطويل إلى عبءٍ متناقص الفاعلية أمام دولةٍ تُحسن التخطيط وتُمسك بأرضها وبذرتها ورغيفها.

خطة تفعيل طاقات الأمة الإسلامية لدعم الدولة الإسلامية الناشئة

مقدمة: إن إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة واجب شرعي عظيم مرتبط بشرط الاستطاعة (القدرة)؛ فمع تحقق القدرة تزول الأعذار ويتعيّن واجب إعلان الدولة وتنفيذ أحكام الشرع. وقد أجمع الصحابة الكرام على تقديم إقامة السلطة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ حتى قبل إتمام دفنه، مما يدل على عظم هذا الواجب حتى وصفوه بأنه "أهم الواجبات". فلا قيام لمعظم أحكام الدين إلا بسلطان جامع يطبّقها، وبالتالي إذا وُجدت القدرة على إقامة دولة الإسلام فلا يسع المسلمين التخلّف عن ذلك. وفي واقعنا المعاصر برزت بوادر قيام دولة إسلامية ناشئة في بقعة من ديار المسلمين، مما يطرح تحديات مرحلة ما بعد إعلان الدولة: كيف نفعّل الطاقات الكامنة في الأمة لدعم هذه الدولة، حتى تتمكن من إعلان تطبيق الشريعة وتحقيق الاستقرار في وجه قوى وتحديات ومحاولات لإحباطها، هذا الفصل النظري يستعرض خطة مركزية لتحريك تلك الطاقات داخليًا وخارجيًا، مستندًا إلى الأدلة الشرعية والتحليل الواقعي السياسي والعسكري. كما يبيّن دور العقيدة الإسلامية في تفجير الطاقة الحضارية للأمة، وسبل تجاوز التهديدات الوجودية في المرحلة المفصلية الأولى التي تلي إعلان الدولة. وأخيرًا تُطرح خطة تنفيذية مركزة توضح كيفية توظيف هذه المرتكزات عمليًا، مع بيان قدرة الدولة على التوسع في محيطها الإسلامي الهش سياسيًا والمتعطش للتغيير الحقيقي.

تفعيل الطاقات الشعبية الداخلية

تشكل الطاقات الشعبية الداخلية الركيزة الأولى لنهضة الدولة الإسلامية الناشئة واستقرارها. فالقاعدة الجماهيرية من أبناء البلد هي الحاضنة الطبيعية للمشروع الإسلامي ومصدر الشرعية والقوة الأساسية له. تؤكد الدراسات أن مجموع طاقات الشعب يفوق قوة أي دولة عميقة أو خصوم داخليين إذا أُحسن استثمار تلك الطاقات. مهما بلغ نفوذ القوى المضادة المتغلغلة في المجتمع، فإن الشعب يمتلك في مجموعه قدرات أكبر وأقوى – بشرية ومادية ومعنوية – لكن تفوّقها مرهون بمدى معرفتنا بهذه الطاقات وبقدرتنا على تفعيلها.

إن الطاقة البشرية هي عماد الطاقات الشعبية. وتتوزع هذه الطاقة على نوعين رئيسين: أولهما طاقات عامة الناس من حيث كثرتهم العددية وانتشارهم في مختلف القطاعات، وما ينبثق من ذلك من قوة التأثير عند التعبئة العامة (كخروج المظاهرات المليونية أو المشاركة الجماهيرية في جهود البناء والجهاد). وثانيهما الطاقات الخاصة النوعية التي لا فعالية لها إلا بقيادة الأكفياء المميّزين من أهل الخبرة والاختصاص (كالقادة وأصحاب الكفايات في التخطيط والإدارة والعلم والتكنولوجيا). فالجماهير توفر العدد والزخم، أما توجيه هذا الزخم واستثماره الأمثل فلا يتم إلا عبر العقول القيادية في الأمة. من هنا، يجب على قيادة الدولة الناشئة وحملة مشروع التغيير اكتشاف هذه العناصر الكفيّة ضمن الشعب وإشراكها في عملية البناء والدفاع؛ فوجود الروّاد المبدعين القادرين على رسم السياسات وحسن توظيف الموارد هو الذي يحوّل الثروة البشرية والمواد الخام إلى قوة منتجة. الموارد والثروات بحد ذاتها تبقى خاملة وقد تصبح غثاءً لا وزن له إن غابت الإدارة الحكيمة؛ وكذلك جمهور الناس قد يشعرون بالعجز والضياع ما لم يَنبرِ من بينهم قادة ربانيون يفعّلون قدراتهم الكامنة. فإذا نجح هؤلاء القادرون في تحريك طاقات الشعب وتوظيفها، فإن القوة البشرية حينئذ ستكون أكبر بكثير من إمكانات أي خصم داخلي.

ومن وسائل تفعيل الطاقات الشعبية داخليًا: إنشاء تنظيم شعبي واسع القاعدة يعبّئ الجماهير خلف مشروع الدولة. يوضح الباحثون أن الصراع ضد الدولة العميقة وأشباهها يرتكز على ركنين متلازمين: تعبئة طاقات الشعب، وتنظيم تلك الطاقات في كيان شعبي منضبط. فالتنظيم الشعبي ليس حزبًا سياسيًا ضيقًا، بل هو إطار عام يجمع مختلف شرائح المجتمع على هدف نصرة الدولة ومشروعها الإسلامي. إنه بمثابة الجناح التنفيذي الشعبي لإستراتيجية التغيير، يعمل بالتوازي مع القيادة الرسمية. يقوم هذا التنظيم بأعمال المواجهة الشعبية تحت إشراف قيادات مخلصة من عامة الناس نفسها، مما يضمن انخراط المجتمع ككل في الدفاع عن دولته الوليدة.

لتحقيق ذلك، لا بد من التواصل المزدوج المستويات مع الشعب: على المستوى العام، عبر حملات توعوية جماهيرية وخطاب عقدي وفكري يصل إلى عامة الناس بمختلف الوسائل (خطب، إعلام، منصات تواصل، تجمعات شعبية). هذا الاتصال الواسع يُكسب تأييد الرأي العام ويشيع روح الولاء للدولة وقضيتها العادلة. وعلى المستوى الخاص، بالتواصل مع أهل التأثير والنخب ضمن المجتمع (العلماء والدعاة، زعماء القبائل والعشائر، القيادات العسكرية والأمنية المحلية، الوجهاء وأصحاب الكفايات) لإقناعهم بالمشروع وحشد دعمهم. نجاح المستوى الأول يمهّد لنجاح الثاني عبر إيجاد رأي عام موحّد، بينما يساهم المستوى الثاني في تعزيز ذلك الرأي العام وصناعة قيادة مجتمعية واعية تقود صفوف الناس. وبهذا

تُستنهض كل شرائح الشعب: الشباب، والرجال والنساء، والمهنيون والعمال، ضمن ورشة عمل جماعية لتحقيق التغيير المنشود. إن شعبًا يتحرك بكامل فئاته في مشروع النهضة، لهو أقوى سلاح لصد أي عدوان داخلي أو تمرد مضاد، وهو أيضًا قاعدة الصمود الاقتصادي والاجتماعي التي تحفظ الاستقرار بعد إعلان الدولة.

تفعيل طاقات الأمة الإسلامية خارج الدولة

إلى جانب الطاقات المحلية، ينبغي للدولة الإسلامية الناشئة أن تستثمر طاقات الأمة الإسلامية في الخارج، أي قدرات الشعوب المسلمة في العالم الأوسع خارج حدودها القطرية. فالأمة الإسلامية بمجموعها تمتلك إمكانات هائلة مشتتة عبر الأقطار، وإذا أمكن تعبئتها وتوجيهها فستشكل عمقًا استراتيجيًا هائلًا للدولة الوليدة. وقد شهدنا عبر التاريخ المعاصر نماذج لتضامن المسلمين عبر الحدود: وحدة العقيدة دفعت آلاف المتطوعين للالتحاق بجبهات القتال نصرةً لإخوانهم (كما حدث في أفغانستان والبوسنة وسوريا وغيرها). هذه الظاهرة تؤكد أن الشعوب الإسلامية أينما وُجدت تشعر بوحدة المصير والاستعداد لبذل الدم والمال في القضايا التي يرونها قضايا الإسلام والأمة جمعاء.

من أهم صور تفعيل طاقات الأمة خارجيًا توسيع نطاق الدعم والاشتباك الإيجابي عبر العالم الإسلامي. فعلى الدولة الناشئة وحركتها الداعمة أن تنسج شبكات تواصل وتنظيم مع الحركات الإسلامية والشعوب في الأقطار المجاورة، لتوسيع دائرة المواجهة مع أعداء مشروع النهضة. توصي الدراسات الإستراتيجية بأنه لا يجوز حصر جهود التغيير في قطرٍ واحد معزول، بل يجب توسيع دوائر المواجهة في بلاد المسلمين لتعظيم استثمار طاقات الأمة وتعويض أي اختلال في موازين القوى. والواقع أن الحرب على فكرة الخلافة وعودة دولة الإسلام ليست محلية البتة؛ بل هي مواجهة بأبعاد عالمية تتصدّرها قوى كبرى تستنفر كل إمكاناتها لمنع قيام أي كيان إسلامي حقيقي. هذه القوى تعتمد كثيرًا على عزل المحاولات التغييرية في نطاق ضيق ثم تحريك الأنظمة الإقليمية لخنقها. لذا فمواجهة هذا التحالف المعادي تتطلب كسر العزلة عن الدولة الناشئة وفتح جبهات موازية في محيطها الإسلامي تشغل أعداءها وتشتت تركيزهم. إن توسيع نطاق العمل الإسلامي الثوري إلى أقصى مدى ممكن يحقق عدة فوائد إستراتيجية: فهو من جانب يُربك خطط الأعداء ويمنع تفرغهم لاستهداف بقعة واحدة، ومن جانب آخر يجذب المزيد من طاقات الأمة إلى ساحة المعركة مما يعالج خلل القوة مع الخصوم. يخلص أحد البحوث إلى أن اتساع رقعة المواجهة ليشمل معظم أقطار العالم الإسلامي من شأنه تخفيف وطأة الهجوم على روّاد التغيير، وتعزيز قدرتهم على الصمود بمؤازرة إخوانهم في الأقطار الأخرى. بدل أن تستفرد قوى الطغيان بكل محاولة تحرر منفصلة وتحيلها عبرة لغيرها، سيجد الطغاة أنفسهم أمام انتفاضات متزامنة مترابطة يستحيل كبحها كلها في وقت واحد.

على الصعيد العملي، يمكن للدولة الناشئة أن تستفيد من موارد الأمة المادية والبشرية عبر الحدود بوسائل شتى: فتح أبواب الهجرة إليها للعقول والكفايات والأيدي العاملة المؤمنة بمشروع الخلافة (كما كانت الهجرة إلى دار الإسلام في العهد النبوي رافدًا أساسيًا لدولة المدينة المنورة). كذلك يمكن استقطاب الدعم المالي من الجاليات المسلمة ورجال الأعمال في الخارج لتمويل مشاريع الدولة وتقوية اقتصادها، مع استقطاب خبراتهم في مجالات التِّقانة والصِّناعة وغيرها، جنبا إلى جنب مع استثمارت ثروات الأمة من قبل الدولة، وتوظيف عوائدها في الصناعات والزراعة وسد الحاجات. أيضًا ينبغي تفعيل الجبهة الإعلامية العالمية لحشد التأييد الشعبي الإسلامي في كل بلد وضبط رواية الأحداث بحيث تُقدَّم الدولة الناشئة كأملٍ للأمة جميعًا، فهي تمثل وعد نبيهم بخلافة راشدة ثانية على منهاج النبوة، وتعمل على تحقيق وعد ربهم بالاستخلاف والتمكين والأمان والوحدة، وبانتصار الإسلام على الدين كله ولو كره المشركون، فهذا الربط العقدي له تأثير عميق في نفوس أبناء الأمة. ولنا شاهد مهم: حتى الخصوم أدركوا فشلهم في صرف الشعوب الإسلامية عن دينها ومطلبها السياسي؛ فقد لاحظ الباحثون الغربيون أنه حيثما توفرت انتخابات نزيهة كانت الجماهير المسلمة تختار التيارات الإسلامية بأغلبية كاسحة. هذا يعني أن المزاج العام في بلادنا هو مع المشروع الإسلامي وضد أنظمة التبعية العلمانية. وعليه، إذا ظهر كيان يرفع راية الإسلام حقًا ويوفر نموذجًا ناجحًا، فسيكسب - بلا شك – دعما حقيقيا، وتعاطفًا واسعًا وربما ولاء أبناء الحركات الإسلامية والجماهير الإسلامية خارج حدوده. ويضاف إلى ذلك مسألة أن الدعوة انتشرت في أواسط آسيا وأندونيسيا وبنغلادش وباكستان وتلك البقاع وغيرها بصورة مؤثرة جدا، وتمتاز هذه الشعوب بعاطفتها الإسلامية الجياشة وبشجاعتها ونجدتها وإقبالها، وهذه عوامل مهمة جدا.

ومن تكتيكات التوسع الخارجي الحكيم: التنسيق عبر الحدود لتبادل الدعم اللوجستي وتيسير حركة المناصرين. فقد يستدعي الأمر إنشاء ممرات آمنة أو مناطق إسناد خلفية في دول مجاورة متعاطفة (أو ضعيفة السيطرة المركزية) تستخدم لإمداد الدولة الناشئة بالرجال والعتاد وتأمين ملاذ عند الضرورة. وكذلك العكس، بحيث تقدّم الدولة الناشئة الدعم لمنظمات التغيير في تلك الأقطار لتأزيم الأنظمة المعادية وإشعال جبهات جديدة تشاغلها. هذا التلاحم الكفاحي عبر الأقطار سيُشعر كل مسلم أن معركة إقامة الشريعة هي قضية أمة واحدة وليست شأنًا محليًا، ما يزيد الحماسة ويبعث روح الأمل بالنصر. وبه ستتحقق وحدة الصف عمليًا قبل تحقق الوحدة السياسية الرسمية، تمهيدًا لاندماج الأقطار المحررة لاحقًا في كيان خلافة شامل بإذن الله.

دور العقيدة الإسلامية في تفجير الطاقة الحضارية

تشكل العقيدة الإسلامية القلب النابض

لمشروع النهضة الإسلامي، فهي أعظم محفّز للطاقات الحضارية الكامنة في الأمة. ليست العقيدة الإسلامية مجرد جملة مبادئ نظرية جامدة أو شعائر معزولة؛ بل هي منظومة حية فعّالة إيجابية تبعث في نفوس المؤمنين طاقات روحية ونفسية هائلة. إن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان يغرس الإيمان العميق المقرون بالعمل، ويوجّه طاقات الفرد والمجتمع نحو غاية سامية ورسالة خالدة. بهذا الإيمان تحولت قبائل العرب المتفرقة الضعيفة إلى أمة واحدة قوية غيّرت مجرى التاريخ، وانصهرت شعوب شتى في كتلة حضارية واحدة قادت العالم لقرون. لقد صنع الإسلام هذه المعجزة التاريخية عبر تفجير طاقة حضارية لا مثيل لها، والسّر يكمن في العقيدة التي تبث روحًا رسالية عالية وتغذي المؤمن بيقين راسخ بأن المستقبل لهذا الدين.

تمنح العقيدة الإسلامية معتنقيها قوة معنوية استثنائية تدفعهم لبذل المستحيل بثبات نفس وطمأنينة قلب. المؤمن الحقّ يوقن أنه على الحق المطلق وأن الله معه ما دام ينصر دينه، وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى من هذه الحياة. هذه المفاهيم تولّد طاقة نفسية هائلة تجعل المسلم يتحمّل أعظم المشاق دون أن يلين أو يستسلم. وقد سجل التاريخ نماذج مدهشة لثبات المؤمنين الأوائل تحت التعذيب في مكة؛ كانوا يتعرضون للحديد المحمى تكوى به جلودهم، وللجلد المتواصل فوق الرمضاء، فلا يفتنون عن دينهم، واستمروا على ذلك حتى بشرهم النبي ﷺ بأن الله سيُتم هذا الأمر ولكنهم يستعجلون. إن ثباتهم هذا ما كان لولا الإيمان العميق الذي يغمر قلوبهم. علّق بعض العلماء على هذا المشهد النبوي مؤكدًا أن أعظم ثمرة غرسها الرسول ﷺ في أصحابه هي الثقة المطلقة بقوة أفكار العقيدة وقدرتها على إمداد المؤمنين بطاقة تجعلهم يصمدون أمام أعتى المحن. فالصحابة لم يكونوا خارقين بطبيعتهم البشرية، لكن إيمانهم الراسخ المفعم بيقينيات القرآن جعلهم قادرين على ما لا يقدر عليه غيرهم. لقد استمدّوا الروح والمعنويات من العقيدة أكثر مما استمدوها من أي حوافز مادية، فلم يُقهَروا داخليًا رغم قلة عددهم وعتادهم، فكان مآلهم النصر والتأييد. هذه القيمة المضافة للعقيدة هي التي تحوّل الإنسان العادي إلى بطل ملهم قادر على خوض الصعاب، لأنه يستشعر معية الله ويستهين بالدنيا مقابل رضوان الله والدار الآخرة، فلا يرعبه طاغية ولا تكسره شدة. وهذا العنصر الإيماني هو سر تفوّق نوعي للمسلمين عبر تاريخهم الطويل.

وبناءً على ذلك، فإن الأمة التي تمتلك مثل هذه العقيدة الحية تستحيل هزيمتها في الصراع الحضاري مهما بلغت قوة أعدائها المادية. العقيدة الإسلامية تمتاز بأنها تربط الدنيا بالآخرة وتوازن بين المصلحة المادية والقيم الأخروية، ما يرفع دافعية المسلم للتضحية بكل غالٍ ونفيس - حتى بنفسه - استجابةً لتكاليف هذه العقيدة. في المقابل يقوم أعداء الإسلام على عقائد مادية نفعيّة، تقدّس المنافع العاجلة وترتكز على أهواء

البشر ومصالح الأقلّية. من هنا فإنهم يفتقرون إلى الدافع الروحي والاستعداد للتضحية بالقدر الذي عند المسلمين، فضلاً عن عجزهم عن طرح بديل عقدي يُبطل حقائق الإسلام أو يُقنع المؤمنين بالتخلي عنه. لذلك فإن المفكرين الغربيين أنفسهم يقرون بأن المعركة الفكرية - العقدية محسومة لصالح الأمة الإسلامية، فلا التنصير، ولا الاستشراق، ولا الحملات الإعلامية الحديثة استطاعت اقتلاع إيمان المسلمين أو ثنيهم عن مقتضيات عقيدتهم الحية. نعم نجح أعداؤنا في إلحاق أضرار جانبية وبث بعض الشبهات، لكن التجربة تثبت أنه كلما ضعفت الأمة ماديًا أو هُزمت عسكريًا فإنها سرعان ما تفيء إلى عقيدتها وتنهض من جديد متمسكة بدينها، حتى أن بعض الغزاة أنفسهم اعتنقوا الإسلام في نهاية المطاف (كما حدث للتتار المغول بعد غزوهم بغداد).

إن التربية العقدية السليمة تولّد قدرة جماعية جبارة هي أساس الطاقة الحضارية للأمة. فالعقيدة لا تصنع أبطالًا أفرادًا وحسب، بل وتُنشئ أمة رسالية متماسكة تحمل مشروعًا جماعيًا. لقد أخرج الله المسلمين أمة واحدة ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ووصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر جماعة. فالإيمان جعل كل فرد يشعر بمسؤوليته عن الدين وبأنه جزء من جسد الأمة؛ فيعمل لنصرة الإسلام ضمن كيان جماعي لا منعزلًا بمفرده. وغرس الإسلام في نفوس أبنائه مفهوم الأخوّة الإيمانية فوق كل رابطة، فصهر القبائل والأعراق في بوتقة واحدة. وصارت وحدة العقيدة تلغي حواجز النسب واللون، وقامت رابطة الدين مقام رابطة الدم في نفوس المسلمين. بهذا التلاحم العقدي صار العربي والفارسي والحبشي والتركي والكردي والتركماني والأمازيغي وباقي الأعراق إخوانًا في الله، يقاتلون جنبًا إلى جنب كالبنيان المرصوص، ما أدهش أعداءهم حينذاك. وأورثت هذه الوحدة ولاءً يفوق كل ولاء؛ فالمسلم يهبّ لنصرة أخيه في أقصى الأرض بدافع رابطة الإيمان. وما الإقبال الذي شهدناه على الجهاد والتطوع دفاعًا عن المسلمين المضطهدين في شتى البقاع إلا ثمرة طبيعية لاستمرار أثر تلك الأُخوّة العقدية. إذًا فالعقيدة الإسلامية هي مفجّرة الطاقات الحضارية للأمة: ترفع معنويات الفرد للجوزاء، وتلحم المجتمع ككتلة صلبة متراصة، وتدفعه بصورة جمعية لحمل رسالة تحرير وهداية للبشرية. ومع وجود هذه العقيدة، تُصبح الموارد المادية والقوى البشرية أدوات طيّعة بأيدي المؤمنين، يوجهونها بفاعلية لتحقيق أهداف عليا وليس لمصالح محدودة أو آنية.

تجاوز التهديدات الوجودية في المرحلة الأولى

إن مرحلة ما بعد إعلان قيام الدولة الإسلامية هي أخطر المراحل، إذ تواجه الدولة الناشئة تهديدات وجودية مباشرة من أعدائها الداخليين والخارجيين الذين يسعون إلى وأدها في مهدها. ولذلك يحتاج المشروع الإسلامي إلى إستراتيجية حصيفة لتجاوز هذه الأخطار وضمان الاستقرار الأولي. أول

خطوة هي الإدراك الواقعي لحجم العداء المحيط: فإقامة دولة إسلامية اليوم سيَعُدّها أعداء الإسلام تحديًا إستراتيجيًا يستفز تحالفًا واسعًا من القوى الدولية والإقليمية. لقد بات معلومًا أن القوى الكبرى لن تسمح بسهولة بنشوء نموذج حكم إسلامي يُطبق الشريعة، وستسخر نفوذها العالمي وأذرعها في المنطقة لإجهاض أي محاولة في هذا الصدد. هذا يعني أن الدولة الوليدة قد تجد نفسها أمام حرب متعددة الجبهات: عدوان عسكري مباشر أو بالوكالة، وحصار اقتصادي، وتشويه إعلامي عالمي، وإثارة للقلاقل الداخلية عبر عملاء أو انشقاقات.

لمواجهة هذه التهديدات الوجودية، تتبع الدولة الناشئة منهج النبي ﷺ في الحذر والإعداد وأخذ الأسباب مع التوكّل على الله. فقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على عدم الاستهانة بقوة العدو وعلى بذل كل مستطاع في الإعداد حتى ترجح كفة النصر. ومن هذا المنطلق، يجب التخطيط لمواجهة يكون فيها احتمال النصر وتحقيق الهدف أرجح من الهزيمة، اعتمادًا على تعبئة كل القوى المادية والمعنوية الممكنة. يشمل ذلك إعداد القوة العسكرية الكافية للدفاع – تنفيذًا لأمر الله ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾ (الأنفال: ٦٠) – سواء قوة نظامية أو عبر حروب غير تقليدية (حروب عصابات وكمائن مستمرة تشتت العدو). فإذا كان ميزان القوى يميل لصالح الأعداء من حيث العتاد والتكنولوجيا، فإنه يمكن للمؤمنين معادلة الكفة بأساليب قتالية غير تقليدية تستنزف الخصم وتربك خططه. تكتيكات حرب العصابات مثلًا أثبتت نجاعتها تاريخيًا في تمكين الجماعات المقاومة الصغيرة من الصمود أمام جيوش كبرى. ويمكن الاستفادة من تجارب حركات تحرر ناجحة (كالمجاهدين في أفغانستان ضد السوفييت ثم الأمريكان، وكصناديد غزة العزة) حيث أدى العامل المعنوي والعقيدة القتالية دورًا حاسمًا في التغلب على الفجوة التسليحية.

كذلك من الضروري اتباع إستراتيجية الدفاع المرن: عدم التمركز في أماكن يسهل محاصرتها أو قصفها، بل تبني انتشار وتَخَفٍّ مع الحفاظ على القدرة على ضربات مؤلمة عند الحاجة. وينبغي نقل المعركة كلما أمكن إلى عمق العدو لإشغاله في حماية نفسه بدل التفرغ للهجوم. ولعل توسيع جبهات المواجهة إقليميًا – كما أسلفنا – يمثل جزءًا من الحل الأمني أيضًا، فحين تواجه القوى المعادية اضطرابات وثورات في عدة بلدان، ستقل مواردها المخصصة لخنق الدولة الناشئة وحدها. تفتيت جهد العدو على جبهات متعددة يحمي المنطلق الجديد من التركيز التام لقوى العدو عليه.

أما داخليًا، فالتحدي هو تحصين الجبهة الداخلية ضد الاختراق والإشاعات والحرب النفسية. يجب على قيادة الدولة أن تُحسن التعامل مع التنوع الداخلي (قبائل، وعشائر، وتيارات فكرية مختلفة) بشكل يجذب الجميع نحو المشروع بدل أن يُستغل تنوعهم لزرع الفتن. السياسة الحكيمة تقضي باستيعاب

المخالفين ممن لا يشكلون خطرًا مباشرًا، عبر الحوار وضمان الحقوق الأساسية تحت مظلة الشريعة، مقابل عزل الخونة والعملاء الذين يرتبطون بالأعداء. وينبغي إظهار العدل الإسلامي واقعًا ملموسًا منذ البداية، لأن عدالة الحكم ونزاهته أفضل درع شرعي ضد الدعايات المغرضة التي يطلقها الأعداء لتأليب الشعب. تطبيق الحدود وإقامة الشرع يجب أن يقترن ببيان حكمته ورحمته، حتى يدرك الناس أنهم انتقلوا إلى نظام أرحم وأعدل مما عرفوه في ظل الأنظمة السابقة الظالمة. كذلك من المهم عزل بقايا الدولة العميقة ومراكز القوى القديمة بحذر؛ تفكيك أجهزة القمع السابقة واجتثاث قياداتها المفسدة ضرورة لمنع أي طابور خامس من تهديد الأمن الداخلي. لكن هذا التفكيك يجب أن يجري بشكل مدروس، مع الحرص على كسب ولاء الكوادر الوسطى إن أمكن (كاستيعاب الجنود أو الموظفين البسطاء الذين كانوا مغلوبين على أمرهم ضمن تلك الأجهزة). بإيجاز، على الدولة الجديدة أن تكون يقظة أمنيًا دون أن تتحول إلى حالة شك مطلق في الناس. التوازن مطلوب بين الحسم مع المتآمرين والاحتضان لجمهور الأمة الذي فيه بعض من تأثر بدعاية الخصوم.

ولا يُغفل هنا دور الحرب الإعلامية والمعنوية. فعلى الرغم من ضعف إمكانات الدولة الناشئة في المجال الإعلامي مقارنة بآلة الدعاية الدولية، فإن بوسعها استخدام منابر التواصل الحديثة لنقل روايتها وكسب التضامن الشعبي الخارجي. لقد نجحت حركات إسلامية عديدة، وحركات جهادية مثل كتائب القسام في حشد التعاطف عالميًا بقوة الكلمة والصورة التي تفضح جرائم المعتدين وتنقل معاناة المستضعفين. كشف جرائم الأعداء وفضح وحشيتهم أمام الرأي العام العالمي والإسلامي يحرجهم سياسيًا ويخفف الضغط العسكري عن الكيان الوليد. وفي الوقت نفسه، بث الرسائل الإيمانية المطمئنة للأنصار بأن نصر الله قريب يعزز الصمود الداخلي. إن تذكير المؤمنين بسنن الابتلاء والنصر، وبحتمية تمكين هذا الدين – كما وعد الله سبحانه – يخفف من حالة الهلع عند أول صدمة عسكرية أو حصار اقتصادي. زرع الأمل والثقة بالله عنصر حاسم لتجاوز المرحلة الحرجة الأولى، إذ به يستمد المجاهدون القوة للاستمرار حتى مع تأخر النصر الظاهر. قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ (محمد:٧)، فاليقين بهذا الوعد يمنح ثباتًا عجيبًا على خط المواجهة.

خطة تنفيذية مركزة

فيما يلي خطة تنفيذية موجزة توضح كيفية توظيف المرتكزات المذكورة عمليًا لمواجهة التحديات وتحقيق التمكين بإذن الله:

ترسيخ البنية الداخلية واستيعاب الشعب:

ينبغي بدءًا توطيد أركان الحكم الداخلي بتشكيل مؤسسات إدارة فعّالة وخدمة المواطنين بالعدل والكفاءة. إقامة العدل وإنصاف الناس تحت راية الشريعة سيُكسب الدولة الناشئة شرعية راسخة في قلوب الشعب. كذلك يجب بناء جسور الثقة مع

مختلف المكونات (عشائر، وقبائل، وحركات إسلامية أُخَر) عبر مجالس شورى محلية ولقاءات منتظمة مع القيادات المجتمعية. الهدف هو خلق جبهة داخلية موحّدة ترى في الدولة مشروعها الديني الجامع، الذي يحقق للرعية كلها من مسلمين وذميين حقوقهم وإنصافهم، ورفاههم، ما يقطع الطريق على محاولات الأعداء لإحداث شرخ داخلي.

تعبئة الطاقات الشعبية وتنظيمها: بعد كسب ثقة الجمهور، يُعمل على إطلاق مشاريع تعبئة جماهيرية تشمل حملات تثقيف سياسي وشرعي لرفع الوعي بأهداف الدولة ومنهجها، جنبًا إلى جنب مع برامج عملية لتجنيد المتطوعين في مجالات متنوعة (الشرطة المحلية، وفرق الإغاثة، ولجان الأحياء...). من المفيد هنا إنشاء هيكلية لـتنظيم شعبي واسع الانتشار، يقوم عليها نقباء من أهل كل منطقة، يُنسقون الجهود الشعبية ويديرون الموارد البشرية في خدمة الأمن والإنتاج والخدمات العامة. هكذا يشعر كل فرد أن له دورًا في مشروع الدولة، من الجندي على الجبهة إلى المزارع في حقله والطبيب في عيادته. هذا التنظيم الشعبي سيوفر أيضًا شبكة إنذار مبكر ضد أي تسلل أو اضطراب داخلي، إذ سيكون الوعي الجمعي مرتفعًا والتعاون تامًا بين الناس والأجهزة الشرعية.

استنفار دعم الأمة الإسلامية خارجيًا: تتبنى الدولة الناشئة سياسة خارجية إعلامية ودعوية تهدف إلى كسب تأييد الشعوب المسلمة أينما كانت. عبر البيانات الرسمية والمنابر الإعلامية توجه نداءات للأمة توضح عدالة قضية الدولة الإسلامية ومعاناتها تحت الحصار، وتستنهض همة المسلمين لنصرتها بالمال والنفس والكلمة. يمكن تشكيل لجان خاصة لمد جسور مع الجاليات المسلمة في الدول الثرية لحشد التبرعات والإسناد المالي، والتقني، وكذلك للتأثير على الرأي العام المحلي هناك للضغط على حكوماتهم بعدم التدخل المعادي. وعلى الصعيد الإقليمي، تنسق الدولة مع أي جماعات إسلامية تنشط ضد الحكومات الطاغية في بلدانها لتبادل المنفعة: دعم لوجستي وإعلامي مقابل فتح جبهات موازية تشتت العدو المشترك. هذه التحركات الخارجية تعطي الدولة الناشئة عمقًا استراتيجيًا وتظهر للعالم أن هذه الدولة ليست معزولة بل لها امتداد شعبي عبر العالم الإسلامي.

تعزيز القدرات الدفاعية والأمنية: تبني الدولة منظومة دفاع شاملة متعددة الطبقات. في الخطوط الأمامية، تُعَدّ القوات المسلحة النظامية وشبه النظامية وتسلح بما تيسر من أسلحة لائقة (اغتنامية أو مصنّعة محليًا) مع تدريبها على تكتيكات حروب العصابات والهجمات المباغتة التي تناسب إمكاناتها. وفي الخط الخلفي، تُنشأ فرق أمن داخلي واستخبارات ثورية لرصد أي اختراق أو مؤامرة في مهدها. وكذلك تُحصّـن الحدود والمنافذ عبر تعاون التنظيمات الإسلامية المجاورة لخلق عمق دفاعي متبادل – بحيث تصعّب الحركة عبر الحدود على جواسيس الأعداء

وتسهلها على مناصري الإسلام. لا بد أيضا من توفير خطط طوارئ للإمداد (بالمواد الغذائية والوقود والذخائر) عبر طرق تهريب آمنة إذا فُرض حصار. على المدى الأبعد، تسعى الدولة بحكمة للحصول على عناصر قوة نوعية ترهب المعتدين – كقدرات صاروخية أو دفاع جوي فعال، أو طائرات مسيرة وهي من الأسلحة المهمة، قليلة التكلفة، شديدة الفعالية في الحروب الحديثة – لتشكل عامل ردع يمنع العدو من التفكير في هجوم شامل﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال:٦٠).

هذه الأمور تُكتسب تدريجًا بالصبر والتخطيط ولا مانع من الاستفادة من الخصومات الدولية (مثال: استثمار أي دعم سري من قوى كبرى منافسة لعدونا المباشر، دون الارتهان لأحد).

التوسّع المرحلي المدروس في المحيط الإسلامي: بعد تثبيت الداخل وتأمين الحد الأدنى من القدرات الدفاعية، توضع خطط للتوسع في المناطق المجاورة مستفيدةً من هشاشة الوضع السياسي الإقليمي. كثير من دول الجوار تعاني فراغًا سياسيا وأمنيًا، وشعوبها ناقمة على أنظمتها. على الدولة الإسلامية أن ترقب هذه الفرص: أي انهيار لنظام ظالم أو قيام انتفاضة شعبية في بلد مسلم مجاور يفتح بابًا للتدخل الإيجابي. يمكن التدخل عبر الدعم اللوجستي والإعلامي للقوى الإسلامية هناك كي تتمكن من السيطرة وطلب الانضمام لاحقًا للدولة (على غرار ما حصل تاريخيًا حين كانت الإمارات الإسلامية تُضمّ تحت لواء خلافة واحدة سلماً أو حربًا). لكن ينبغي الحذر من الاستعجال؛ فلا يُنصح بالتوسع العسكري المباشر إلا إذا توفرت شروط النجاح (من حاضنة شعبية مرحبة ودعمٍ كافٍ وخطوط إمداد مؤمّـنة). وخلاف ذلك، يركَّز الجهد على بناء خلايا التنظيم الشعبي في تلك الأقطار انتظارًا للانقضاض على النظام القائم. الأهم أن تدرك الدولة وحزبها أن عملهم ذو طبيعة عابرة للحدود منذ اليوم الأول، وأن الأمة كلٌّ لا يتجزأ. بذلك لن يظل التغيير الإسلامي محصورًا في زاوية ضيقة يُحاصر فيها حتى الموت، بل سيتحول إلى تيار إقليمي جارف يصعب إيقافه.

تحصين الجبهة العقدية والفكرية: توازيًا مع الخطوات الميدانية، تواظب الدولة على رفع الوعي العقدي والسياسي لدى جماهيرها وجماهير الأمة قاطبة. يكون ذلك عبر المناهج التعليمية، وخطب القادة والعلماء، ووسائل الإعلام الحرة النزيهة التي توصل رسالة الإسلام الجوهرية. الهدف هو بناء مناعة فكرية ضد حملات التشويه والحرب النفسية التي يشنها الأعداء. عندما يعلم الناس لماذا نقيم هذه الدولة – امتثالا لأمر الله، ولتطبيق شريعته، ولتحقيق العدل الرباني وإنقاذ البشرية من طغيان البشر – وعندما يفهمون أحكام الشريعة فهمًا صحيحًا، فسوف يبذلون مهجهم دفاعًا عن هذا المشروع الرباني، خصوصا إذ يقارنون ما آل إليه التغيير مقابل ما كانوا يعيشونه من فساد ناخر وأنظمة بالغة التبعية، وهذا يشبه حال المسلمين إذ قارنوا عظمة الإسلام بالجاهلية التي كانوا عليها.

تكفل العقيدة الصحيحة بقاء الحماس وإدامة التضحيات، وتجعل كل فرد رقيبًا على نفسه لا يتسلل إليه شك أو فتور. وهذا التحصين الفكري يُسهِم مباشرة في الاستقرار؛ فالمجتمع المؤمن الواعي الذي يدرك قيمة مشروعه لن يسمح لأعدائه بزعزعة ثقته أو شق صفه.

قابلية الدولة للتوسع في محيطها الإسلامي

إن البيئة الإقليمية المحيطة بالدولة الإسلامية الناشئة – في معظمها – مهيأة للتوسع الإسلامي برغم ما قد يظهر من قوالب القوة الظاهرية للأنظمة الحاكمة. فهذه الأنظمة في جلّها هشة الشرعية، تقوم على القهر والاستبداد ودعم القوى الأجنبية، تعيش حالة متقدمة من الفساد والإفساد، والترهل الاقتصادي، وشظف العيش، بينما شعوبها المسلمة تزداد وعيًا ورفضًا لحالة التبعية والظلم. يشير الباحثون إلى أن الرأي العام في بلاد المسلمين بات شبه مجمع على رفض أنظمة الكفر الجاثمة وعلى تطلّب البديل الإسلامي. الصحوة الإسلامية التي انتشرت خلال العقود الأخيرة أيقظت في الأمّة أشواقًا جامحة إلى حكم الشريعة والعدالة، وجعلت الشعوب متعطشة للتغيير حتى لو خاضت المخاطر. هذا الوضع يشكّل فرصة تاريخية للدولة الإسلامية كي تتوسّع بدعوة الشعوب لسلطان الإسلام ولدولته؛ وتعمل أيضا على تحفيز عوامل الثورة فيها على واقعها، فمتى رأت الشعوب نموذجًا ناجحًا مجسدًا في أرض الواقع، سعت للانضمام إليه طوعًا. وقد رأينا كيف أن سقوط أنظمة طاغية خلال موجة الربيع العربي ملأ الجماهير أملًا بإقامة دولة العدل الإسلامية، إلا إن غياب الكيان القائد حال دون تحقيق ذلك الأمل آنذاك. أما اليوم، فبقيام هذا الكيان في أي بقعة، يمكن أن يتحول الأمل إلى فعل؛ إذ ستتجه أنظار المسلمين إليه ويزداد الضغط من داخل البلدان المجاورة لإحداث تغيير مماثل، ولأحباط محاولة حصاره وخنقه.

تتجلى قابلية التوسع في صور شتى: قد تكون عبر الاختراق السلمي – كأن ينهار نظام مجاور تحت ضغط ثورة شعبية فيسارع أهل ذلك البلد إلى مبايعة الدولة الإسلامية طلبًا للنصرة وتطبيق الشرع. أو عبر الفتح العسكري عندما تتهيأ الظروف، كتفكك جيش النظام الخصم أو استنجاد فئات من شعبه بالدولة الإسلامية لتخليصهم من الظلم (تمامًا كما حصل في بدايات الفتوحات الإسلامية حين رحّب كثير من أهالي الشام ومصر بالمسلمين محرِّرين من ظلم الروم). وفي كل الأحوال، ينبغي مراعاة سنن التوسع الطبيعي باستعمال قوة الجذب والنفوذ الحضاري بثبات وفق إستراتيجية مدروسة تحفظ تماسكها. لقد أكدت التجارب المعاصرة أن الاقتصار على عمل منعزل في بقعة محدودة يجعل أصحابه لقمة سائغة لتكالب الأعداء؛ بينما الانتشار الأوسع يُكسب المشروع عمقًا ومنعة بتوسيع دائرة المتفاعلين والمؤيدين. كما أن توحيد الجبهات عبر الحدود يُنسي الأنظمة المستبدة قدرتها على التعاون ضد الإسلاميين، إذ تجد كلٌ منها نفسها منهمكة بمشكلاتها الداخلية الكثيرة. إن نجاح الدولة الإسلامية في توسيع رقعة

سيطرتها عبر العالم الإسلامي يعني عمليًا نقل المواجهة إلى مرحلة جديدة: بدلاً من صراع مع دولة واحدة محاصَرة، يصبح الصراع بين الأمة كلها وبين القوى المعادية لها. وعندها يقترب الوعد الحق بنصر الأمة النهائي بإذن الله، تحقيقًا لقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ [النور:٥٥].

ولكي تستثمر الدولة الإسلامية هذه البيئة المواتية دون مخاطرة زائدة، فعليها اتباع سياسة "التوحيد على بصيرة". أي توحيد صفوف المسلمين تحت رايتها لكن ببصيرة تراعي واقع كل قطر وظروفه. فتقديم الدعم لحركات التغيير في بلد ما يختلف إن كانت تلك الحركات مهيكلة ومنضبطة وذات رؤية إسلامية واضحة، عنه في بلد آخر حيث الفوضى أو غلبة العصبيات الجاهلية. وكذلك درجة التدخل العسكري المباشر تختلف بين حالة وأخرى. البصيرة هنا تعني دراسة دقيقة لكل قطر: نقاط قوة وضعف النظام الحاكم، ومدى رسوخ الولاءات القبلية أو الطائفية، ودرجة نقمة الشعب واستعداده، ووجود منافسين على الساحة... إلخ. وبناء على تلك المعطيات تُرسم خارطة طريق للتوسع: أين يمكن التحرك سريعًا، وأين يجب التأجيل حتى إنضاج الظروف، وكيف ننضجها؟ وهكذا. المهم أن يبقى هدف الوحدة الشاملة حاضرًا غايةً نهائية، فلا يركن أهل الدولة إلى حدود سايكس-بيكو المصطنعة أو يرضوا بتوقف المدّ الإسلامي عند قطر معين. إنَّ الأمة الإسلامية بطبيعتها واحدة؛ قسّمها الاستعمار وعمّق انقسامَها الحكامُ العملاء، لكن شريعة الإسلام وتطلعات الشعوب تهفو إلى إعادة اللحمة. وكلما التحمت أجزاء تحت راية الحق، ازداد الضغط تلقائيًا على بقية الأجزاء للحاق بها، لأن شرعية الدولة الإسلامية الحقة سترجح على شرعية الأنظمة القُطرية المهترئة في قلوب الناس. وهكذا تعمل عدوى النموذج الناجح عملها حتى تعمَّ فكرة الخلافة سائر الأرجاء، لتصبح قابلية التوسع واقعًا محققًا لا مجرد احتمال نظري.

خاتمة: في الختام، نؤكد أن الانتقال من مرحلة العجز المانع إلى القدرة المسقِطة للعذر في إقامة دولة الإسلام لا يتحقق تلقائيًا دون تخطيط ومحاولة واعية. الاستطاعة التي أنعم الله بها على هذه الأمة لإقامة دينه يجب أن تُفعّل بأقصى طاقتها كي نسقط كل عذر ونتحمل مسؤولية واجبنا التاريخي. بتفعيل الطاقات الشعبية الداخلية، واستنفار دعم الأمة في الخارج، وتسخير قوة العقيدة الروحية، والتخطيط لتجاوز المخاطر، يمكن للدولة الإسلامية الناشئة – بعون الله – أن تصمد وتستقر وتطبق الشريعة. ومع الوقت ستتحول هذه البذرة إلى شجرة وارفة تجمع في ظلها بقية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وما ذلك على الله بعزيز، ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ...﴾ (الروم: ٤-٥). نسأل الله أن يعجل بتلك البشارة وأن يوفق العاملين المخلصين لتحقيقها إنه ولي ذلك والقادر عليه.■

تفكُّكُ سلاسلِ التوريدِ ونهايةُ العولمة

الأستاذُ نبيل عبد الكريم

منذ عقودٍ شكَّلت العولمةُ الاقتصاديةُ الإطارَ العامَّ الذي تدورُ داخله حركةُ التجارةِ العالمية، حيث اتَّسعت شبكاتُ الإنتاج عبر القارات، وارتبطت المصانعُ والموانئُ والمورِّدونَ بسلاسلِ توريدٍ معقَّدةٍ تمتدُّ من شرقِ آسيا إلى أوروبا وأمريكا.

تُعَدُّ العولمةُ من أبرزِ الظواهرِ التي شكَّلت ملامحَ العالمِ الحديث، إذ أسهمت في تحويلِه إلى ساحةٍ مترابطةٍ تتفاعلُ فيها الدولُ والمجتمعاتُ بصورةٍ غيرِ مسبوقة؛ فليست مجرَّدَ انتقالٍ للسلعةِ أو الأفكارِ عبرَ الحدود، بل هي عمليةٌ متكاملةٌ تشملُ الاقتصادَ والثقافةَ والسياسةَ والتكنولوجيا، وتؤثِّر في أسلوبِ حياةِ الأفرادِ وأنماطِ إنتاجِ الدولِ وتوازناتِ القوَّةِ الدولية.

ومع أنَّ هذا المصطلحَ برز بقوَّةٍ في العقودِ الأخيرة، فإنَّ جذورَه التاريخيةَ تمتدُّ إلى قرونٍ بعيدة؛ بدأتْ مع الاكتشافاتِ الجغرافيةِ الكبيرة، وتطوَّرت مع الثورةِ الصناعية، ولكنَّها برزت بشكلِها الحالي بعد الحربِ العالميةِ الثانية، وتسارعت مع ثورةِ الاتصالاتِ والإنترنت. ومن خلالِ فَهْمِ نشأةِ العولمةِ وتطوُّرِها يمكن فَهْمُ كيف تغيَّر العالم، ولكن أوَّلًا سنعرِّج على الفرقِ بين العولمةِ قبلَ الحربِ العالميةِ الثانية وبعدَها.

فقد كانت العولمةُ قبلَ الحربِ العالميةِ الثانية عولمةً تجاريةً واستعمارية، ومرتبطةً بالتوسُّعِ الاستعماريِّ الأوروبي، حيث سيطرتِ الدولُ الكبرى على المستعمرات، واستغلَّتْ مواردَها، وأقامتْ شبكاتٍ تجاريةً عالميةً غابتْ عنها المؤسَّساتُ الدولية، وكانت محدودةً وغيرَ مستقرة، وكان الاعتمادُ على القوَّةِ لا على القانون؛ حيث تمَّت السيطرةُ على طرقِ التجارةِ بالقوَّةِ العسكرية، ولم يكن للتكنولوجيا أثرٌ يُذكَر، وكان الاقتصادُ متمركزًا حولَ أوروبا، والباقي إمَّا تابعٌ وإمَّا مُستَعمَر.

أمَّا بعدَ الحربِ العالميةِ الثانية، فأصبحت العولمةُ أكثرَ تنظيمًا عبر مؤسَّساتٍ دوليةٍ كبرى (الأممُ المتحدة، صندوقُ النقدِ الدولي، البنكُ الدولي، منظمةُ التجارةِ العالمية لاحقًا)، وعليه ظهرتْ شركاتٌ عالميةٌ كبرى تعمل في عشراتِ الدول، مثل: (كوكاكولا، مايكروسوفت، ... إلخ)، وطبْعًا جميعُ هذه الشركاتِ هي شركاتُ الدولِ الكبرى المهيمنةِ على العالم، وبذلك تحوَّلت

أوروبا من مستعمِرٍ إلى شريك.

وبعد سقوطِ الاتحادِ السوفيتي والتطوُّرِ التكنولوجيِّ الكبير، وظهورِ الشركاتِ متعدِّدةِ الجنسيات، والعولمةِ الرقمية (منصاتُ تواصلٍ عالمية، تدفُّقُ المعلومات، التجارةُ الإلكترونية، ... إلخ)، أصبحَت العولمةُ أكثرَ شمولًا وتأثيرًا في حياةِ الأفرادِ اليومية. وللأسف كانت صاحبةَ اليدِ الطُّولى اليومَ في الأزمات، نذكرُ منها - على سبيلِ الذكرِ لا الحصر:

- أصبحَ الترابطُ الاقتصاديُّ العالميُّ - بشكلٍ مُبالَغٍ فيه - شبكةً واحدةً؛ وهذا الأمرُ له إيجابياتٌ، لكنه يعني أنَّ أيَّ أزمةٍ صغيرةٍ يمكن أن تنتشرَ بسرعةٍ كبيرة؛ مثل: (أزمةِ الرهنِ العقاري في أمريكا ٢٠٠٨، وانهيارِ البنوكِ في أوروبا، والبطالةِ في آسيا... وغيرها كثير)، أي إنَّ هذا التشابكَ جعل العدوى الاقتصاديةَ سريعةً جدًّا.
- انتقالُ الأزمةِ الماليةِ عبر رأسِ المالِ المنتقِلِ سريعًا، حيث تتحرَّك مليارات الدولاراتِ عبر الحدود في دقائق، وهذا جعل أسواقَ المالِ لا تعتمد على الإنتاجِ الحقيقيِّ بل على توقُّعاتٍ سريعةِ التقلُّب، ممَّا يُسهِّل الهروبَ المفاجئَ لرؤوسِ الأموال، وسقوطَ عملاتِ دولٍ خلالَ يومٍ واحد، وانهيارَ أسعارِ السِّلَعِ أو الطاقةِ بشكلٍ مفاجئ، وهذا كلُّه لم يكن ممكنًا قبل هذه العولمة.
- الاعتمادُ المُفرِط على سلاسلِ الإمدادِ العالمية؛ وهذا جعل العالمَ هشًّا جدًّا؛ لأنه أصبح مُجزَّأً عبر دولٍ: الموادُّ الخامُّ من بلد، والتصنيعُ في بلدٍ، والتجميعُ في آخر، والتوزيعُ لشركاتٍ حصرية... إلى آخره. وهذا جعل إغلاقَ ميناءٍ في الصين يؤدِّي إلى نقصِ بضائعَ في أوروبا، وأزمةً في دولِ الطاقةِ تُوقِفُ مصانعَ في آسيا، وحربًا في أوكرانيا تُسبِّب تضخُّمًا عالميًّا في الغذاء.
- العولمةُ أحدثت أزمةَ هويةٍ وصراعاتٍ فكريةٍ من خلال: (السينما، الإعلام، الإنترنت)، وكلُّها بيدٍ واحدة؛ فقد فُرِضتْ ثقافةٌ وقيمٌ جديدةٌ على مجتمعاتٍ ذاتِ هويَّةٍ خاصَّة، وعُكِّر صفوُ هذه الهويَّة. إنَّ الانحلالَ الأخلاقيَّ الذي نعاني منه اليوم ليس حادثًا عرضيًّا، بل هو نتيجةُ بنيةٍ كاملةٍ تصنعُها العولمةُ الثقافيةُ والإعلاميةُ التي تنشرُ الفرديةَ المطلقة، والتحرُّرَ من الضوابطِ الدينيةِ والعادات، وهي التي جعلت الجسدَ سلعةً، واعتمدتِ اللذَّةَ غايةً. وهذا ما صمَّمه الغربُ لغزوِ العالم؛ فأنشأ منصاتٍ عدَّة، منها: نتفليكس، وهوليوود، ومشاهيرُ مؤثِّرون في الفساد، ومنصاتٌ كثيرة جعلتِ الإباحيةَ صناعةً عالمية، وكلُّ منصاتِ التواصلِ الاجتماعي... إلخ.

كلُّ هذا كان يصبُّ في خزائنِ الفائزين؛ الدول الغنيَّة، والشركات العملاقة، والمراكز المالية، على حسابِ الدولِ الفقيرةِ والطبقةِ المتوسطةِ والفقيرةِ في كلِّ العالم، ما أدَّى إلى ظهورِ انقساماتٍ اجتماعيةٍ عاليةٍ جدًّا.

إنَّ هذا الانفتاحَ عبرَ العولمةِ أحدث خللًا يعاني منه العالمُ اليوم، وصولًا إلى الحالةِ التي وقع فيها العالمُ لتلبيةِ أطماعِ فئةٍ قليلةٍ ممن يتحكَّمون بالعالم اليوم، ويسعون إلى الوصول - عبر العولمة - إلى إنتاجِ إنسانٍ موحَّدِ السلوكِ والقيم، ثقافتُه الاستهلاك، ويستهلكُ نفسَ المنتج، ويعيشُ نمطًا اقتصاديًّا واحدًا هو الرأسماليةُ الليبرالية، ويدينُ «دينًا» موحَّدًا يُطلِقُ الفرديةَ والحريةَ بلا قيود، ويعتمدُ الانحلالَ الخُلُقي والتحرُّرَ من النصِّ والتقليد، وفصلَ الروحِ عن المجتمع.

إنَّ دولَ العالمِ تلاحظُ أثرَ العولمةِ عليها، ولذلك بدأتِ الدولُ في إعادةِ تقويمِ العولمة، وخاصةً بعد تعرُّضِ العالمِ لأزماتٍ مثل: الأزمةِ الماليةِ العالميةِ عامَ ٢٠٠٨، وانقطاعِ سلاسلِ الإمدادِ أثناءَ كورونا، والحربِ الأوكرانية، والتوترِ الجيوسياسي بين الصينِ وأمريكا، وبين روسيا والناتو.

لذلك بدأت هذه الدولُ تحاولُ اتخاذَ إجراءاتٍ معيَّنة، وبدأت ببناءِ نفوذٍ اقتصاديٍّ إقليميٍّ مثل: الآسيان، وبريكس بنسختِه الإقليمية، واتفاقياتِ شرقِ أفريقيا. وهذه الإقليمياتُ تحاول أن توفِّر سرعةَ النقل - أي جغرافيا قريبة - واستقرارًا أمنيًّا وسياسيًّا، وتكامُلًا صناعيًّا أسهل.

وقد رأينا اليومَ - في ولايةِ ترامب الأخيرة - أنَّه وضع تعريفاتٍ جمركيةً كبيرةً تحدُّ من العولمةِ التجارية، ويسعى لنقلِ صناعاتِ الرقائقِ من آسيا إلى أمريكا والمكسيك، ويعمل على إنشاءِ سلاسلَ لمعالجةِ المعادنِ النادرة، وعدمِ الاعتمادِ على الصين، ويحاول إعادةَ الشركاتِ الكبرى من آسيا إلى أمريكا؛ وذلك بتقديمِ تسهيلاتٍ كبيرةٍ إذا عادوا، وفرضِ عوائقَ عظيمةٍ على منتجاتِهم إذا كانت من خارجِ البلاد، وذلك لعلمِهم أنَّ زمنَ العولمةِ قد بدأ بالأفول. وعلى الدولِ التي تريدُ الخروجَ من هذه العولمة أنْ تنتقلَ إلى التموضعِ الإقليمي، والعملِ على ما يلي، بشكلٍ مختصرٍ:

١- وضعُ سياسةٍ حمائيةٍ للبلادِ ومنتجاتِها.

٢- بناءُ أمنٍ غذائيٍّ داخليٍّ وإقليميٍّ.

٣- تنويعُ مصادرِ الطاقةِ داخلَ المنطقةِ أو الإقليم.

٤- إنشاءُ تحالفاتٍ ماليةٍ ونقديةٍ إقليمية.

وغيرُها من بنودٍ قد تُساعِدُ الدولَ على الخروجِ من العولمة.

والذي سوف يُسرِّع في انهيارِ هذه العولمةِ وزوالِها واحدٌ ممَّا يلي: أزمةٌ ماليةٌ تضربُ النظامَ الدولي، وفقدانُ الثقةِ بالعولمةِ الشاملة، والانتقالُ إلى التحالفاتِ الإقليمية. وتعزيزُ الأمنِ الاقتصاديِّ والغذائيِّ الإقليمي، وتقليلُ الاعتمادِ على الدولارِ وسلاسلِ الإمدادِ البعيدة. وتشكيلُ نظامٍ عالميٍّ متعدِّدٍ بدلَ نظامٍ عالميٍّ واحد.

وهذه الأحداثُ تكونُ عادةً طبيعيةً في دورةِ التاريخ، وحالةِ التدافعِ وسننِ الكون؛ فبعد العلوِّ الكبيرِ للعولمة تأتي مرحلةُ الانكماشِ الإقليمي ثم الانهيار، وإعادةُ بناءِ توازنٍ جديد.

لذلك فإنَّ عودةَ الإسلامِ بوصفه مبدأً إلى سيادةِ العالمِ أمرٌ حتميٌّ وقريبٌ، إن شاء الله نُسْرِعُ في قدومِه، ويجبُ على المسلمين في كلِّ بقاعِ العالمِ التنبُّهُ إلى أنَّ الفرصةَ اليومَ كبيرةٌ مع هذه التقلُّباتِ والانهيارات، ورغمَ ما نعانيهِ من هجماتٍ شرسةٍ على بلادِ المسلمين، فهذا دليلٌ على أنَّ الحلَّ البديلَ يكمنُ في ربوعِ هذه البلاد، وما يحملُه شعبُها من عقيدةٍ سليمةٍ ربانيةٍ هي الوحيدةُ التي تصلحُ لحُكمِ العالم.

فيا أيها المسلمون، إنَّ اللهَ حبانا بخيراتٍ كثيرةٍ، وموقعٍ مميَّز، ووعدَنا بأكثرَ من ذلك إنْ أقمْنا شرعَه باستئنافِ الحياةِ الإسلامية؛ فسوف تُخرِجُ الأرضُ كنوزَها، وتُرسِلُ السماءُ خيراتِها. ولهذا الأمرِ تنبَّه الشيخُ الجليل، العالمُ الأزهري، المجتهدُ المطلق تقيُّ الدين النبهاني – رحمه الله – وبدأ بإنشاءِ حزبِ التحرير، الذي يُعدّ اليومَ الجهةَ الوحيدةَ التي تعملُ لاستئنافِ الحياةِ الإسلاميةِ بطريقةٍ من جنسِ الفكرةِ، دونَ التلوُّثِ بهوى الرأسماليةِ وأدواتِها.

وبجهودِ مَن خلفَه أصبح مشروعُ الأمَّة جاهزًا للتطبيقِ بأدقِّ تفاصيلِه، وشبابُه يعملون ليلًا ونهارًا لاغتنامِ الفرصةِ، ولفتِ نظرِ أهلِ القوَّة، وبإذنِ الله حين يأذنُ اللهُ فإنهم جاهزون.

فيا مُخلِصي هذه الأمَّة من شعوبٍ وأهلِ قوَّةٍ، غذّوا السير مع هذا الحزبِ لنصلَ سويًّا إلى إعادةِ الخلافةِ الراشدةِ إلى مكانتِها الحقيقية، وإضاءةِ العالمِ بنورِ الإسلام. قال عزَّ وجلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾■

حزب التحرير... دعوةٌ إلى الوحدة أم إلى الفرقة؟!

الأستاذ يوسف أرسلان

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير- في ولاية أفغانستان

قبل مدّة يسيرة، توفّي الأستاذ أحمد بكر رحمه الله، أحد أعضاء مكتب أمير حزب التحرير. وبعد مطالعة بعض المذكرات حول مسيرته الدعوية، ازددتُ تأثّراً، ولا سيّما بثباته في طريق الدعوة وذكرياته الأليمة عن الحبس والتعذيب في سجن صيدنايا. وفي إحدى المذكّرات القصيرة، كان الكاتب يذكر الدروس التي تعلّمها من الأستاذ؛ منها أنّ الشيخ تقيّ الدين النبهاني رحمه الله أوصاه عند وقوع المشكلات والفتن، سواء تعلّقت بالأمّة أم بالدعاة، بمطالعة كتاب «العواصم من القواصم»، لأنه يمنح الثبات والبصيرة وقوة الإيمان.

بناءً على ذلك ألقيتُ نظرة على الكتاب. فقد ألّفه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في القرن السادس الهجري، ويدور موضوعه الرئيس حول ثبات الصحابة ومواقفهم المصيرية في مواجهة الفتن وأحداث زمانهم. ومن خلال مطالعته تتضح أكثر مخاوف الشيخ النبهاني، مؤسس حزب التحرير، بشأن وحدة الأمّة وخطر التفرّق؛ إذ كان يرى أنّه لا بد، في كلّ الظروف، من إظهار الموقف الإسلامي الصحيح، وأنّ الثبات مبدأ لا يتغيّر.

يبدأ الكتاب بنماذج بارزة؛ منها مواقف أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، إذ أنقذ الأمّة بحكمته والتزامه الشرعي من التفرّق. وكذلك في واقعة سقيفة بني ساعدة، حين اقترح بعض الأنصار أن يكون «أمير من الأنصار وأمير من المهاجرين»، فحال دون وقوع التفرّق ببيان نافذ وحجة قويّة، وقال: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء».

ومن النماذج الأخرى التي يمكن ذكرها: قرار أبي بكر رضي الله عنه بالقتال ضدّ مانعي الزكاة، وتحديد عمر رضي الله عنه مدة اختيار الخليفة بثلاثة أيام، وتضحية عثمان رضي الله عنه حتى استُشهد، وصبر عليّ رضي الله عنه على الخوارج إلى أن سلّوا السيوف؛ وكلّ ذلك يدلّ على أنّ وحدة الأمّة من الثوابت الشرعية في الإسلام، وأصلٌ يجري في عقيدة الحكم الإسلامي كما يجري الدم في الجسد. وهذا الأصل نفسه كان من هموم حزب التحرير واهتماماته الأساسية، كما كان همَّ الصحابة والخلفاء الراشدين.

من الدعوة إلى العلمانية إلى الدولة القومية

كلّ مجتمع هو ميراث تاريخه، والمسلمون ليسوا استثناءً من ذلك. فاليوم، نتيجةً لبعض

الأحداث والقرارات التاريخية، بات «التحزّب والاختلاف» يُعدّان عين «التفرّق». وترسّخ في الوعي أنّه لا وجود لوحدة حقيقية، في حين أنّ الأمّة الإسلامية اليوم أكثر تشتّتاً وتفرّقاً من أيّ عصر مضى. وفي هذا السياق يطرح البعض سؤالاً حول حزب التحرير: هل هو دعوة إلى التفرّق أم إلى الوحدة؟ وتنبع هذه المخاوف من أنّ حزب التحرير يتحرك حركة منسّقة، ويولي الأمر بالمعروف السياسي اهتماماً خاصاً، ويطرح فهماً للإسلام قد لا يَسهل على المولَعين بأفكار أو مذاهب معيّنة تَقبُّلُه. وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد من توضيح مفهوم «التفرّق»، ثمّ دراسة عوامله ومظاهره ليتبيّن موقع حزب التحرير منه.

كلمة «التفرّق» من أصل «فَرَقَ» بمعنى الانفصال والابتعاد. وقد استُخدمت في القرآن للدلالة على الانفصال الحسّي والمعنوي معاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾(البقرة: ٥٠)، وقوله: ﴿ٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥). وفي الشريعة، يُطلق التفرّق غالباً على الاختلاف في أصول الدين والعقيدة، وهو محرّم ويبلغ حدّ الكفر، بينما الاختلافات الاجتهادية في الفروع لا تُعَدّ من التفرّق. وقد قال رسول الله ﷺ:«إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» (ابن ماجه). وقد قام الدكتور حاكم المطيري أستاذ التفسير والحديث في كلية الشريعة في جامعة الكويت بدراسة هذا الحديث، وجاء في دراسته تلك: «فهذه دراسة حديثة نقدية إسنادية لحديث الافتراق « تفترق أمتي على ثلاث سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» فإنه مع شهرته وكثرة طرقه، إلا أن الشيخين البخاري ومسلماً تنكبا عنه ولم يخرِّجاه، وحكم بعدم صحته ابن حزم فقال: «لا يصح أصلا من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد». وغمز في قوة صحته شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مع أنه يصححه ـ فقال: «فمن كفَّر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث «الثنتين والسبعين فرقة» ليس في الصحيحين، وقد ضعَّفه ابن حزم وغيره، لكن حسنَّه غيره أو صحَّحه، كما صحَّحه الحاكم وغيره». وقال الشوكاني: «زيادة «كلها في النار» لا تصح مرفوعة ولا موقوفة». وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة. وفي المقابل صحح حديث «الافتراق»: الترمذي وابن حبان والحاكم وتابعهم جماعة من المتأخرين». ومعنى الجماعة في هذا الحديث هو الأمة الإسلامية منضوية تحت خليفة واحد؛ فقد سمّى الصحابة عام اجتماعهم على معاوية بعام الجماعة، بعد افتراق كلمتهم، كذلك فإن كلّ جماعة قائمة على العقيدة الإسلامية تُعَدّ في دائرة الجماعة، ولو اختلفت في الفروع. أمّا الدعوة إلى العقائد غير الإسلامية، كالعلمانية،

فهي دعوة إلى التفرّق.

ومن الناحية السياسية أيضاً، تقابل كلمة «الجماعة» لفظ «التفرّق». فقد ورد في الأحاديث أنّ الجماعة، إضافة إلى معناها العقدي، تُطلق على النظام السياسي الإسلامي الواحد، أي الخلافة، وأن طاعة إمامها واجبة على المسلمين. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (مسلم). وقال أيضاً: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» (مسلم). فمفارقة الجماعة والخروج عليها محرّمان. واليوم، إذ لا تمتلك الأمّة جماعة واحدة، وقد منعت الدولُ القومية والأحزاب القومية وحدة الأمّة، صارت إقامة الجماعة الإسلامية الواحدة واجباً، وكلّ حزب يسير في هذا الطريق فهو صاحب دعوة إلى الوحدة. وعلى النقيض، فالأحزاب القومية والدول القومية التي جزّأت الأمّة إلى حدود وهويّات وطنية هي العامل الأكبر في التفرّق، وهي المانع الأكبر من تحقيق الوحدة الإسلامية.

صراع السلطة والفرقة

عقيدة حزب التحرير هي العقيدة الإسلامية، وهدفه إقامة جماعة المسلمين الواحدة؛ ولذلك فدعوتُه دعوةٌ إلى الوحدة، في حين أنّ الدعوة إلى العلمانية والقومية والدولة الوطنية تعدّ دعوةً إلى التفرّق. ومع ذلك، فإنّ المجتمع اليوم حين يَذكر الوحدة والتفرّق ينصرف غالباً إلى المعنى العرفي للكلمتين؛ أي العصبية القبلية والحزبية أو الاختلاف الفكري والفقهي.

حين كانت الأمّة الإسلامية في ذروة التفكير والفقه والحضارة، كان ذلك الازدهار في الحقيقة ثمرةً لليقظة الفكرية والسياسية التي عاشتها الأمّة؛ كان نتيجة التعقّل والتدبّر في النصوص الشرعية وفهم الواقع فهماً صحيحاً. أمّا حين تحوّلت الاختلافات الفكرية والفقهية إلى تفرّق ونزاع، فقد كانت العوامل السياسية لاعباً رئيساً في ذلك.

هذا الواقع التاريخي أدّى إلى أن يتّخذ أهل السنّة، بوصفهم هويّة جديدة، قرارات متقاربة مع أصحاب السلطة. وتشكل هذا الوضع في خلافة المتوكل العباسي، بعد خلافة المأمون والمعتصم والواثق الذين تبنوا مذهب المعتزلة، إذ اجتمع أهل العلم وأهل السلطة، كلاهما ومنذ خلافة المتوكل، على قرارات تخدم مصالحهما المشتركة في مواجهة الخلافات الفكرية، مع أنّ علماء أهل السنّة كانوا مخلصين في ذلك.

كان أهل العلم ينظرون إلى تضييق مساحة الخلاف من زاوية منع تسرب الجماعات المخالفة، كالمعتزلة والشيعة والخوارج، بينما رأى أهل السلطة في ذلك وسيلة لحفظ النظام والقوة السياسية. وحين اجتمع الجانبان على هذا الرأي، اتُّخذت خطوات تحت عنوان «منع الفتنة والتفرّق»، فأُغلِق باب الاجتهاد، وقُمِعت حركة التعقّل، وحُدّت محاسبة الحكّام، بل

وُضعت قيود على فهم القرآن والرجوع إليه.

واليوم أيضاً، كلّما تحدّث أحد عن الاجتهاد أو التعقّل أو التحزّب أو محاسبة الحكّام، ينظر بعض الناس إلى ذلك بمنظار التفرّق. مع أنّ قمع التعقّل والنشاط السياسي ليس له أصل في النصوص الشرعية، بل نشأ من تجارب تاريخية استخلص بعض العلماء منها عِبَراً خاطئة، فوضعوا على أساسها قيوداً، ومال أهل السلطة إلى تلك القيود حفاظاً على سلطانهم. وقد أدّى ذلك كله إلى ركود الأمّة الإسلامية وجمودها، وهو الجمود الذي لم تتخلّص منه إلى اليوم. والعبرة الصحيحة من التاريخ هي ألا نعيد أخطاءه.

اختلاف الرأي في الإسلام أمر مقبول، وهو من طبيعة الإنسان؛ فالبشر يختلفون في كثير من الأمور، والإسلام -وهو دين الفطرة- قد اعترف بهذه الحقيقة. ولذلك فاختلاف الاجتهاد في الفروع الشرعية مقبول، غير أنّ هذا غير كافٍ؛ إذ قد يتحوّل الخلاف الفقهي نفسه إلى سبب للتفرّق. وهنا يبرز السؤال: كيف نحكم بأنّ حزباً ما، مع امتلاكه آراء اجتهادية مختلفة، لا يعمل فعلاً في سبيل التفرّق؟

هنا تبرز قاعدة أساسية: متى ما ذاب فرد أو جماعة في خضمّ السلطة بدل التزام التكليف الشرعي وقوة الدليل، فإنّه يسير في اتجاه التفرّق. فطلب السلطة المحض يُسقط أيّ معنى لقبول الاختلاف. والتاريخ مليء بأمثلة واضحة: من الخوارج إلى المعتزلة والوهابية؛ فقد خسروا الصراع أمام السلطة، وضيّعوا التكليف الشرعي لحساب التنافس على القوّة. وعلى النقيض، فإنّ الوحدويّين يجعلون التكليف الشرعي وقوّة الدليل أصلاً ثابتاً، ويرون السلطة وسيلةً لإقامة الشرع، ولا يرون الشرع وسيلة لبلوغ السلطة.

ولا شك أنّ أصل الميل إلى السلطة أمر فطري في الإنسان؛ فمن جهة، تحصيل القوّة لإقامة الإسلام وتمكينه واجب، لأنّ الدين لا يقوم ولا يُظهَر إلا بالسلطان. ومن جهة أخرى، فالسلطة ميدان عظيم لابتلاء البشر، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ (النمل: ٤٠). لكنّ المقصود بصراع السلطة هنا هو طلب القوّة المحض الذي يُضحَّى فيه بالتكليف الشرعي وقوّة الدليل.

أظهر الإسلام أنّ السلطة ليست هدفاً في ذاتها؛ فالإمام عليّ رضي الله عنه لم يقاتل الخوارج حتى سلّوا السيوف، لأنّ همّه كان القيام بالتكليف الشرعي لا مجرد حفظ السلطة. وكذلك عثمان رضي الله عنه سلّم نفسه حتى لا تُصاب الأمّة بفتنة وتفرّق؛ فبدل الدفاع عن سلطته قدّم رضا الله تعالى. وقد جاء في «العواصم من القواصم» أنّ عثمان رضي الله عنه منع الصحابة من القتال مع المتمرّدين وقال إنّه لا يرضى أن يُقتل أحد بسببه، فسلّم لأمر الله حتى استُشهد.

ومن هنا يطرح العلماء اليوم سؤالاً:

إذا وُضع حاكم المسلمين في موقف شبيه بموقف عثمان رضي الله عنه، فهل عليه أن يضحّي بنفسه لمنع الفتنة؟

وعليه، يمكن القول إنّ طلب السلطة المحض هو سمة أهل التفرّق، بينما التمسك بالتكليف الشرعي وقوّة الدليل هو سمة أهل الوحدة.

أشير هنا إلى بعض مظاهر طلب السلطة المحض:

١ ـ التكفير في المتشابهات

مع أنّ التكفير في أصله حكم شرعي، إلا أنه استُخدم عبر التاريخ أداة أيضاً؛ إذ لجأت جماعات ودول إلى التكفير والتفسيق والتبديع لتبرير البغي أو لقمع المخالفين. ولهذا امتدّ التكفير في الغالب إلى الميدان السياسي.

في هذا السياق يُعدّ حزب التحرير من أكثر التيارات احتياطاً في مسألة التكفير وإطلاق الأوصاف؛ إذ يرى، استناداً إلى القرآن والسنة وسيرة الصحابة، أنّ الأصل في الدين هو المحكمات، وأنّ المتشابهات مجال للاختلاف والاجتهاد. وتاريخ الإسلام مليء بنماذج جرى فيها التكفير استناداً إلى المتشابهات؛ من تكفير الخوارج إلى تكفير المتكلّمين بل حتى أتباع المذاهب الفقهية. ومع قليل من التأمّل يتبيّن أنّ جذور كثير من هذه التكفيرات كانت في طلب السلطة.

في المقابل، يركّز حزب التحرير على المحكمات؛ فالوحدة لا تعني اتفاق الناس جميعاً على رأي واحد، بل تعني تمسّكهم بالمحكمات واجتماعهم تحت إمام واحد وسعيهم لإظهار الدين، وإن اختلفوا في الفروع. ولذلك كان التكفير في خطاب حزب التحرير موجّهاً غالباً إلى أنظمة الكفر وبُناها الحاكمة، لا إلى الأفراد والجماعات المسلمة.

أمّا الذين يجعلون السلطة هدفاً في ذاتها، فهم غالباً يلجؤون إلى التكفير لتبرير أعمالهم؛ فيجعلون أنفسهم وحدهم على الحق، ويكيلون التهم لغيرهم، ويعجزون عن قبول الآخرين من المسلمين. هذا النمط يرفضه حزب التحرير رفضاً قاطعاً ويعدّه من أكبر عوامل التفرّق.

٢ ـ عدم الثبات

مدرسة الواقعية السياسية، التي تُسمّى أيضاً «مدرسة القوّة»، تقوم على أنّ كل شيء في السياسة يدور حول السلطة، وأنّ سائر القيم والعناصر، بما فيها الثقافة والقيم الأخلاقية، تُضحّى في سبيل القوّة والمصلحة. وترى هذه المدرسة أنّ هذا المنهج ليس واقعياً فحسب، بل صحيح أيضاً.

أمّا الذين يشبه منهجهم هذه المدرسة، فأبرز سماتهم عدم الثبات؛ إذ يبدّلون مواقفهم وفق الظروف والمصالح: تارة يرفعون شعار الخلافة، وتارة يصبحون ديمقراطيين، ويجعلون الجهاد يوماً هو الحلّ، ثمّ يتخلّون عنه في يوم آخر ليظهروا بمظهر «المتنورين».

في حين أنّ الفكرة والطريقة الإسلامية ثابتان، ودليلُهما قطعي لا يتغيّر. فما الذي يجعل الشيء الواحد عند هؤلاء تارة حلالاً وتارة حراماً؟ الجواب واضح: المصلحة والسلطة، التي

تجعل الوسيلة عندهم مبرَّرة بالغاية.

في المقابل، جعل حزب التحرير منذ أكثر من سبعين عاماً هدفه إقامة الخلافة الراشدة، واتخذ طريق العمل الفكري والسياسي على منهاج النبوّة، ولم يبدّله في مقابل أي مصلحة أو سلطة لا تقوم على الإسلام. وهو يؤمن أنّ النصر الإلهي يكون لمن يعمل وفق الشرع وحده، ويثبت رغم شهوة السلطة والمصلحة. فلو كان حزب التحرير يبتغي السلطة لنفسه، لكان تغيير الاتجاه والطريقة أمراً يسيراً عليه.

جلس فايض طه مرّة مع الشيخ تقيّ الدين النبهاني وسأله: ما الفرق بيننا وبين سائر الحركات التي تعمل لإحياء الحياة الإسلامية؟ فردّ الشيخ السؤال إليه ليعرف رأيه. فقال فايض طه: نحن نفهم الإسلام أفضل، ولنا تثقيف أقوى، ونحن أكثر وعياً سياسياً، وآراؤنا أقوى، ولنا إخلاص أكبر.

ردّ الشيخ النبهاني على ذلك وبيّن أنّ هذه ليست الميزة الفاصلة للحزب؛ فهناك جماعات أخرى لديها فهم ووعي سياسي، وكثير من المسلمين أهل إخلاص وإيمان. أمّا الميزة التي يتفرّد بها حزب التحرير فهي الإرادة والاعتقاد والثقة بالنفس في بلوغ الهدف؛ أي إيمانه بفكرته، وعمله الجاد في سبيلها، وتسخير وعيه وفهمه ونشاطه كلّه لتحقيق هذا الهدف. هذا أمر فكري ينبثق من شعور حقيقي وفكر عميق، ويؤدي إلى عقيدة راسخة، لا مجرد معرفة أكاديمية.

٣ ـ السلطة للذات

من مظاهر طلب السلطة أن يرى الفرد أو الجماعة أنّ القوّة حقّ حصري له، وأنّ شرعية أي سلطة مشروطة بوجوده أو وجود حزبه في رأسها. ورغم أنّ حزب التحرير يَعُدّ نفسه مهيّأً لقيادة الخلافة، لما بذله عبر عشرات السنين من عمل وإعداد، فإنّه يرى أنّ من أقام الخلافة على منهاج النبوّة ولو لم يكن من الحزب، فطاعتُه واجبة، حتى لو لم يكن الحزب في السلطة. وهذا أصل مهم في مفهوم «طلب النصرة» عند حزب التحرير.

الحزب لا يريد السلطة لنفسه، بل للإسلام؛ فكلّ سلطة لا تُقام للإسلام أو لا تستطيع تطبيقه لا قيمة لها عند الحزب. وهذه الذهنية ثابتة منذ تأسيس الحزب إلى اليوم في ثقافته وقيادته. ومن الشواهد الواضحة: الشيخ تقيّ الدين النبهاني رحمه الله، الذي لم يطلب سلطة شخصية رغم ما كان لديه من قدرات وإمكانات، بل كان يسعى دائماً لأن يكون الإسلام أساس الحكم. وقد رفض عروضاً للسلطة المحضة، منها عرض الشيشكلي في سوريا، ودعم بعض قوى الجيش في الأردن قبل عام ١٩٦٤م، وكان سبب الرفض، كما عبّر بنفسه، أنّ مجتمع الأردن لم يكن قد تقبّل الحزب ولا أفكاره بعد.

كان الشيخ النبهاني قادراً على نيل المناصب والمكانة، وأن ينتفع بالدنيا ومالها، لكنه قضى حياتَه في ضيق وشدة، ورحل فقيراً. وكانت الاعتبارات الأمنية شديدة إلى درجة أنّه، بعد حياة كاملة من العمل السياسي تحت

القيود الأمنية، لم يصلِّ على جنازته في بيروت سوى نحو عشرين شخصاً، وبعضهم لم يكن يعرف حتى على مَن يصلّي. وقد قال محمد داود عوّاد، من أعضاء حركة فتح الذي عرفه في شبابه وحضر التشييع: «كان النبهاني من الرجال المخلصين للأمّة؛ مات في فقر مدقع، شيخاً ضعيفاً مريضاً، يعيش بثياب بالية، في شقة صغيرة في طابق خامس من بناء بسيط» (الجزيرة – عربي).

٤ ـ الأمر بالمعروف السياسي والفرقة

يرى حزب التحرير أنّ من علامات المجتمع الحيّ أن يبقى مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاضراً، ولا سيّما حين يُمارس تجاه الحكّام. فهذا نصف السياسة؛ إذ على المسلمين أن يراقبوا حكّامهم، وأن ينصحوهم، وأن يدعوهم إلى المعروف عند الزلل. غير أنّ هذا المفهوم جرى، عبر التاريخ، تقييدُه بل منعه أحياناً بذريعة «حفظ النظام» أو «منع الفتنة».

أظهر حزب التحرير ثباتاً وشجاعة في إحياء هذه الفريضة السياسية، مع أنّ ذلك كثيراً ما جرّ عليه القمع والضغوط. وسبب ذلك أنّ الحزب لا يطلب السلطة لنفسه، ولا يقترب من أهل السلطة طمعاً في مكاسب دنيوية، بل يرى على العكس أنّ المتملّقين والموالين للبلاط من أبرز عوامل التفرّق.

ومن منظور الحزب، ليس للتفرّق أسباب مادية فحسب؛ فالحاكم الذي يخشى نصيحة الأحزاب الإسلامية وانتقادها، ويمنع ذلك باسم «المصلحة» أو «منع الفتنة»، إنما يدفع المجتمع نحو الفتنة الحقيقية والعذاب الإلهي. وأعظم الفتن هي التفرّق بين المسلمين. وقد حذّر النبي ﷺ قائلاً: «والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يُستجاب لكم» (الترمذي).

لذلك يجب أن يكون الأمر بالمعروف عملاً سياسياً وجماعياً؛ فالقرآن جعله وظيفة «طائفة» من المسلمين، لا مجرّد عمل فردي. ومن هنا كان التحزّب حكماً شرعياً لتحقيق الوحدة واليقظة ومحاسبة الحكّام. ولا يخشى الأمرَ بالمعروف السياسي إلا من يخشى على مصالحه وسلطانه. وقد قال رسول الله ﷺ: «ألا يمنعنّ أحدَكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنّه لا يقرّب من أجل ولا يباعد من رزق أن يُقال بحق أو يُذكّر بعظيم» (أحمد).

ومن أمثلة ذلك قصة إبراهيم الصائغ؛ فقد ذكر الجصّاص في «أحكام القرآن» أنّ رجلاً زاهداً شديد الاجتهاد في طاعة الله كان جريئاً في الأمر بالمعروف. ذهب بشجاعة إلى أبي مسلم الخراساني وواجهه بكلام شديد، ومع أنه لم يكن يملك قوّة عسكرية واكتفى بالجهاد باللسان، اعتقله أبو مسلم مراراً وأطلقه، حتى قتله في النهاية بسبب اعتراضاته الصريحة. وقد حزن الإمام أبو حنيفة رحمه الله حزناً شديداً على ذلك، وبكى، وبيّن أنّه حذّر إبراهيم مراراً؛

فالأمر بالمعروف فريضة عظيمة، لكن القيام به فرادى ومن دون سند جماعي يعرّض النفس للهلاك ولا يعود بالنفع على الأمّة. بل ينبغي أداؤه مع رجال صالحين وتحت قيادة أمينة، لا وحده. يشير الإمام بذلك إلى أنّ هذه الفريضة، على خلاف كثير من العبادات الفردية، تحتاج إلى جماعة وتنظيم حتى تؤثر، وتقلّ احتمالات الضرر على من ينطق بالحق.

٥ ـ التعصّب الحزبي والفرقة

يَعُدّ حزب التحرير نفسه واحداً من الجماعات الإسلامية، لا الجماعة الإسلامية الوحيدة. وعلاقة الحزب بغيره من التيارات الإسلامية هي كعلاقة مسلم بأخيه المسلم في إطار الولاية الشرعية؛ يدعو كلٌّ منهما الآخر إلى الخير وينهاه عن المنكر. ومن أمثلة هذا المنهج سعي الحزب لجمع صفوف المجاهدين في الشام إبّان الربيع العربي، حين حذّر من مؤامرات أمريكا. وكذلك في قضية غزّة، حين أطلق حملة واسعة في تركيا والعالم الإسلامي والتقى العلماء والأحزاب الإسلامية ليكون الصوت واحداً في نصرة فلسطين.

لا يرى حزب التحرير أنّ في فروع الإسلام طريقاً واحداً أو مذهباً واحداً أو اجتهاداً واحداً هو سبيل الفلاح. فالاجتهادات والآراء التي تبنّاها الحزب مبنيّة على ضرورة تنظيمية وواقع اجتهادي، لا على أنّ الجنّة محصورة في فهمه أو أنّ آراءه وحدها هي الحق.

ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه الشيخ يوسف القرضاوي عن لقائه بمؤسس حزب التحرير الشيخ تقيّ الدين النبهاني. ففي أحد تسجيلاته تحدّث عن أيام سفره إلى فلسطين ومرضه الذي أُدخل بسببه إلى مستشفى ملحس، فقال إنّ الشيخ النبهاني جاء لعيادته. وكان شيخاً بجبة وعمامة يشبه مشايخ مصر، سأله عن أسفاره، ودار بينهما حديث وديّ عن العلم والسفر، ثم عرّف بنفسه قائلاً: الداعي تقيّ الدين النبهاني. فشكره القرضاوي، وعدّ ذلك فضلاً منه؛ إذ لم يكن القرضاوي يومها إلا طالب علم، بينما كان النبهاني مؤسس حزب وقيادياً جاء لعيادته.

من جميع هذه الشواهد يتبيّن أنّ حزب التحرير ليس سبباً للفرقة، بل يعمل على توحيد الأمّة على أساس العقيدة الإسلامية. فقد بنى الحزب طريقه وأساليبه على أدلّة شرعية راسخة، وثبت عليها. لا الوعود بالسلطة ولا التهديد ولا التعذيب استطاع أن يَحرفه عن مساره. ويرى الحزب نفسه جزءاً من جسد الأمّة، ورسالته إحياء هذا الجسد وإقامة الدولة الإسلامية الواحدة.

لذلك، تقع على عاتق المسلمين مسؤولية الاستجابة لهذه الدعوة، وتبنّي رسالتها في الوحدة، ونصرتها، وترك دعوات التفرّق من قومية وعلمانية وسائر الأفكار غير الإسلامية، والوقوف في وجهها.■

سورة الفتح

الأستاذة سُلافة شومان

رحمها الله رحمة واسعة، القدسُ الشريف

الحمدُ للهِ حمدًا يليقُ بجلالِ وجهِه وعظيمِ سلطانِه، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ المرسَلين وإمامِهم سيِّدِنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه ومن تبِعَه ووالاهُ إلى يومِ الدين. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾.

من آيِ الذِّكرِ الحكيمِ: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾.

في السنةِ السادسةِ للهجرة، وبعد صُلحِ الحديبية، وأثناءَ عودةِ الرسولِ ﷺ إلى المدينة - وهو في طريقِ العودة - قال مخاطبًا أصحابَه: »لقد أُنزِلَتْ عليَّ الليلةَ سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها»، وقرأ ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ ﴾. أخرجه الإمام أحمد. لقد كانت هذه السورةُ هي سورةَ الفتح، واسمُ السورةِ يومئُ بفضلِها العظيمِ ومنزلتِها، لما تحمِلُه من معانٍ ومبشِّراتٍ للمؤمنين إلى قيامِ السَّاعة.

ففي السورةِ يُبشِّرُ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ والمؤمنين معه بأنَّ صُلحَ الحديبية - والذي توهّم الصحابةُ أنه إجحافٌ بحقِّهم -هو فَتْحٌ ونصرٌ للأمةِ الإسلامية؛ فهو مقدِّمةٌ لفُتوحٍ قادمةٍ عظيمة، من فتحِ خيبر إلى فتحِ مكة وما تلاه. ففتحُ مكةَ كان مقدِّمةً لجميعِ فُتوحِ المسلمين وانتصاراتهم إلى قيامِ الساعة؛ لأنَّه بفتحِ مكة في السنةِ الثامنةِ للهجرة انتشر الإسلامُ في الجزيرةِ العربية، وكان ذلك إيذانًا بانتصاراتِ المسلمين وانتشارِ الإسلام في جميعِ أنحاءِ العالم.

وفي السورةِ بشارةٌ عظيمةٌ للرسول ﷺ بأنَّه قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر، وأنه أتمَّ نعمتَه عليه؛ وذلك بإكمالِ الدِّينِ وإظهارِه، وانتصارِه على جميعِ الأديان، ودوامِ الهدايةِ على الحقِّ، ودوامِ النصرِ إلى قيامِ الساعة.

كما أعلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ في هذه السورةِ الكريمة برضاهُ عن المؤمنين الذين بايعوا بيعةً على الثباتِ على الدِّين، والجهادِ في سبيلِ الله، ونصرةِ دينِ الحقِّ - الإسلام - فهي بيعةٌ مع اللهِ سبحانه وتعالى ينالُ بها المسلمونَ رضا اللهِ ما داموا بمعيَّةِ الله.

كما ألقى اللهُ في هذه السورةِ ظلالًا من

السكينةِ والطمأنينة على المؤمنين، كلِّ المؤمنين، ما داموا بمعيَّةِ الله سبحانه وتعالى؛ إذ يؤكِّدُ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّ كلَّ ما في السماواتِ والأرضِ من مخلوقاتٍ جندٌ لله، يعملون على تنفيذِ أوامرِه؛ فهم على الكافرين عذابٌ، وفي الوقتِ نفسِه رحمةٌ للمؤمنين. وبذلك نزدادُ نحنُ المسلمينَ إيمانًا مع إيمانٍ، ويقينًا فوق يقينٍ، والذي يؤكِّدُ ذلك أنه كرَّر هذا المفهوم: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مرَّتين.

فالسورةُ بين بشائرِ الخيرِ والنصرِ للمؤمنين، وبين بشائرِ الثوابِ الجزيلِ في الدنيا؛ من إظهارٍ لدينِ الله، والنصرِ والتمكينِ لأمَّته، وبين الثوابِ في الآخرةِ من مغفرةٍ وفوزٍ بجناتِ النعيم.

ومن ثم خُتِمَت بالثناءِ على الرسولِ ﷺ وأصحابِه، حيث شكَّلوا تحت قيادةِ الرسول ﷺ أمةً إسلاميةً عظيمة، ولقد اخترتُ هذه الآية لنعيشَ في ظلالِها، بمشيئةِ اللهِ وحولِه.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾، هذه الآيةُ الكريمةُ ختمَ اللهُ بها سورةَ الفتح، وفيها يُثني على الرسولِ ﷺ وصحابتِه من مهاجرينَ وأنصارٍ، الذين تحمَّلوا معه أعباءَ الدعوةِ الإسلامية تطبيقًا وحملًا للعالم.

حيث بدأ الآيةَ بذِكْرِ اسمِه ﷺ فقال: هذا الرسولُ المسمَّى محمدًا هو رسولُ اللهِ حقًّا، شاهدًا له بصدقِ رسالتِه، ثم وصفه مع أصحابِه بأنهم لا يكونون مع الكفارِ إلا أشدَّاءَ غِلاظًا، ولا يكونون مع المؤمنين إلا رُحَماء؛ فاللهُ أمرَهم بذلك، وطبيعةُ العلاقةِ بين المسلمين هي التي تفرض ذلك؛ بأن يكونوا رُحماءَ بينهم. كما أنهم كثيرو العبادةِ والصلاةِ للهِ سبحانه وتعالى، حرصًا على مرضاتِه؛ أي شديدو الإخلاص، حيث يبتغون من عبادتِهم إرضاءَ اللهِ سبحانه وتعالى، لدرجةِ أنه يظهرُ على وجوهِهم أثرُ العبادةِ والإخلاص، وهو النورُ الذي ينبعثُ من وجوهِهم.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾. وهذا الوصفُ - الشدةُ على الكفار، والرحمةُ على المؤمنين، والإخلاصُ، وكثرةُ العبادة - مذكورٌ في التوراةِ والإنجيل، ثم يمثِّلُهم بالزرعِ الذي يبدأ ضعيفًا، ثم لا يلبث أن يخرج منه شطؤُه ويتفرعَ منه فروعٌ كثيرة، فيزدادَ ويتكاثرَ حول الأصل حتى يقوى. وكذلك الرسولُ ﷺ عندما بدأ الدعوةَ كان ضعيفًا، ثم ما لبث أن يزداد أصحابُه؛ حيث كانوا ضعفاء، ولكن عندما هاجروا إلى المدينةِ المنوَّرة، واجتمع المسلمون تحت قيادةٍ واحدةٍ على أساسِ العقيدةِ الإسلامية، وشكَّلوا بذلك أمةً واحدةً من دونِ الناس،

فاستغلظت وقويت حتى أصبحت السيادةُ لها على نحوٍ يُرضي اللهَ ورسولَه ﷺ، ويغيظُ أعداءَ الله (الكفار)، وهذه الأمةُ التي توحَّدت بالإسلام تحت قيادةٍ ربانيةٍ واحدةٍ استحقَّت وعدَ اللهِ بأن يكونَ لهم المغفرةُ والأجرُ العظيمُ في الآخرة.

إذًا في هذه الآية: مدحٌ وثناءٌ على رسولِ اللهِ ﷺ وصحابتِهِ الكرام من حيث هُم أمة واحدة من دونِ الناس؛ فقد استحقَّ الصحابةُ من المهاجرينَ والأنصارِ هذا التشريفَ، وهذا الوعدَ بالثوابِ العظيمِ في الآخرة، بعد أن شكَّلوا أمةً واحدةً تحت قيادةِ الرسول ﷺ؛ فقد اجتمعوا على العقيدةِ الإسلامية، وكانت أساسَ وحدتِهم وأساسَ قيادتِهم؛ أي النظامَ الذي يحكمُهم ويرعى شؤونَهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

وجاء في وثيقةِ المدينة: «المؤمنون والمسلمون من قريشٍ ويثربَ ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمةٌ واحدةٌ من دونِ الناس». وبالتالي فالآيةُ تؤكِّد أن العلاقةَ بين أفرادِ هذه الأمة يجب أن تكونَ علاقةَ أُخوَّة؛ لأنَّ وحدةَ العقيدةِ الإسلامية والنظامِ الذي انبثقَ من هذه العقيدةِ يفرضُ عليهم أن يكونوا إخوةً. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، حصرَ علاقةَ الأُخوَّة بين المؤمنين، والتوكيد على طبيعة هذه العلاقة.

إذًا صفتُنا أمةً يجب أن تكونَ الشدةَ والغلظةَ مع الكفار، والرحمةَ والألفةَ والموالاةَ للمؤمنين، إلا أن الآيات الأُخر مثل تلك التي نزلت في سورة الممتحنة الآية الثامنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ فرقت بين مَن قاتلَنا في الدين وأخرجَنا من ديارنا وبين غيرهم من الكفار وأذنت ببر الطائفة الأخيرة والإقساط إليها.

في آيةِ الفتح مدحٌ وثناءٌ للأمةِ الإسلامية بوصفها أمةً إسلاميةً واحدةً من دونِ الناس، قائمةً على أمرِ اللهِ تعالى، ما دامت بمعيَّةِ الله. ولكن هناك آياتٌ أخر شرَّفَ اللهُ بها هذه الأمة؛ فمدحَها وأثنى عليها بصفاتٍ لا يجوزُ أن تنفكَّ عنها من حي هي أمةٌ إسلامية اجتمعت على أساسِ الإسلام، واستمرَّت بمعيةِ الله تعالى، مثل الخيرية؛ فهي خيرُ الأمم، والعدالةِ، والشهادةِ على الناس.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾، ومن هذه الآية نفهم أن الأُخوَّة بين المسلمين لا تكتمل إلا إذا شكَّل المسلمون أمةً واحدة؛ فلا تكتملُ فقط بالإيمانِ بعقيدةٍ واحدةٍ أو بمبدأٍ واحد، بل لا بدَّ أن يشكِّل المسلمون أمةً إسلاميةً واحدةً من دونِ الناس، وذلك باجتماعهم تحت

قيادةٍ واحدةٍ (قيادةٍ يجتمع فيها الإخلاصُ والوعي)، هذه القيادةُ تحكمُهم وتَسوسُهم بالكتابِ والسُّنَّة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾.

إنَّ واقعَ المسلمينَ اليومَ لَيؤكِّدُ ذلك؛ فبعد أن فقدوا قيادتَهم الصالحةَ التي تتمثَّلُ بالخلافةِ الإسلامية، تفرَّقوا، وصارت الدولةُ الواحدةُ دولًا متعدِّدةً متناحرةً متنافرة، مزَّقتْها الحدود، وبدلًا من أن نكونَ تبعًا لله، صرنا تبعًا للغربِ الكافر، فأصبح المسلمون أشدَّاءَ على المؤمنين، رُحماءَ على الكفار!

إذن، فالواجبُ يَحْتِّمُ علينا أن نعودَ أمةً واحدةً من دونِ الناس، كالصحابةِ في المدينة، وكالمسلمين في ظلِّ الدولةِ الإسلامية لمدةِ ١٣٠٠ سنة؛ إخوةً رُحماءَ فيما بينَنا، أشدَّاءَ وفي صراعٍ وعداءٍ مع مَن يُخالفُنا ويُناقضُ دينَنا، تحت قيادةٍ صالحةٍ تقيَّةٍ نقيَّةٍ واعيةٍ تتمثَّل في رسولِ اللهِ ﷺ، كما قال الله تعالى في حقِّه رسولًا وقائدًا: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾، بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ الله.

وبذلك نعودُ خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للناس، والأمةَ الوسطَ، حتى نكونَ على قدْرَ الأمانةِ التي أخذناها على عاتقِنا: تطبيقِ الدِّينِ ونشرِه، ومن ثمَّ الشهادةِ على الناس. فالخَيْرُ في الأمةِ الإسلاميةِ إلى يومِ القيامة.

فإلى الله ندعوكِ يا أمةَ الإسلام؛ أقبِلي على الله ورسولِه، فلا خيرَ في حياةٍ لا يُحكَم فيها بكتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه ﷺ، ولا خيرَ في حياةٍ لا يسعى المسلمُ فيها لنَيلِ الآخرةِ دارِ البقاءِ والنعيم. فما نالت أمةٌ من الشرفِ ما نالتْه الأمةُ الإسلامية، وما حظيت أمةٌ من الرحمةِ بما حظيتْ به أمةُ الإسلام، أمةُ محمدٍ ﷺ. فرسولُنا ﷺ ما كان حريصًا على الصحابةِ فقط، وإنما على أمَّتِه إلى قيامِ الساعة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وَدِدْتُ أنِّي لَقيتُ إخواني، فقال أصحابه: أوليسَ نحنُ إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، و لكن إخواني الذين آمنُوا بي ولم يَرَوْني) رواه أحمد.وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أُمَّتي أمةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا: الفِتَنُ والزلازلُ والقتلُ».

اللهم هيِّئ لأمةِ الإسلام أمرًا رَشَدًا، ومكِّنْها من الالتفافِ حولَ قيادةٍ صالحةٍ قائمةٍ بكتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه، تأخذُها إلى بَرِّ الأمان.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.■

أخلاقُ الرسول ﷺ

الأستاذ بهاء الدين الحسيني

كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا نَسِيَ الشَّيءَ وضع جبهتَه في راحته، ثم يقول: «اللَّهُمَّ ذَكِّرْني ما نَسيتَ، يا مُذَكِّرَ الشَّيءِ وفَاعِلَه، ذَكِّرْني ما نَسيتُ». فيذكِّرُنا ذلك أن نلجأ إلى الله في عجزنا وضعفنا، وألّا نعتمد على حولِنا وقوَّتِنا.

ومن سُنَّته ﷺ ردُّ القَرْضِ إلى صاحبِه، والوفاءُ بالعُهُودِ والوُعود، ورَدُّ العاريَّةِ إلى أهلها، وإكرامُ الضَّيفِ وقِراه، قال ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ ضيفَه». فكان إذا جاءه ضيفٌ باشَّ في وجهه، وواساه بما يجد، وربما آثره على نفسه وأهله.

ومن سُنَّته ﷺ الإكثارُ من قولِ: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله»، فهي كنزٌ من كنوزِ الجنة، وكان ﷺ يُعلِّم أصحابَه الأذكارَ في الصباحِ والمساء، فيقولون: «حَسْبيَ اللهُ لا إلهَ إلا هو عليه توكَّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم»، و«سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، سُبحانَ اللهِ العظيم».

وكان من أدبِه ﷺ أنَّه إذا جلس إليه أحدٌ وهو في الصلاةِ وخشي أن يشقَّ عليه الانتظار، خفَّف صلاتَه، ثم أقبل عليه وقال: «ألَكَ حاجةٌ؟»؛ رحمةً به، وحرصًا على قضاء حوائج المسلمين. وكذلك كان إذا سمع بكاءَ الصبي في الصلاة خفَّفها رحمةً بأمِّه كما ورد في الحديث.

ومن السُّنَّةِ الاعتناءُ بالطهارة والزينة، وتقليمُ الأظفار، وقصُّ الشارب، وإزالةُ شَعرِ الإبِطِ والعانَةِ، واستعمالُ السِّواك، قال ﷺ: «لولا أن أشقَّ على أمَّتي لأمرْتُهم بالسِّواكِ عند كلِّ صلاة». ومن سُنَّته ﷺ دَفنُ الشَّعرِ والظُّفرِ والدَّم؛ تكريمًا لابنِ آدم، وصيانةً لما ينفصلُ عن جسده.

وكان النبي ﷺ يكتحلُ بالإثْمِدِ - وهو نوعٌ من الكُحْل - قبل أن ينام، ويحثُّ على ما فيه من نفعٍ للبصر، ويهتمُّ بنظافة شعره وثيابه، فيمشِّطُ شَعرَه، ويَسْرِّح لحيته، ويُحبُّ الثِّيابَ البيضاء،

ويقول: «البَسوا من ثيابِكم البياضَ، فإنها من خيرِ ثيابِكم، وكفِّنوا فيها موتاكم».

وكان ﷺ لا يُعرَض له طِيبٌ إلا تطيَّب به، ومنه المسكُ والعُودُ وأصنافُ الطِّيب، يحبُّ الرائحةَ الطيبة ويكره الرائحةَ الخبيثة، ويقول: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النِّساءُ والطِّيبُ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة». وإذا كان يومُ الجمعة ولم يكن عنده طِيبٌ خاصٌّ، دعا بعضَ نسائه فأخذ من طِيبِهنَّ، أو صبَّ شيئًا في الماءِ فمسح به وجهَه وشَعرَه الشريف؛ إظهارًا لأهميةِ التجمُّلِ لهذا اليوم، ومن السُّنة التطيُّبُ يومَ الجمعة، وكانت أحبَّ الهدايا إليه الطِّيب.

وكان ﷺ يقلِّم أظفارَه ويقصُّ شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج إلى الصلاة، ويغتسل لها، ويلبس أحسنَ ثيابه، ويخرج بسكينةٍ ووقارٍ إلى المسجد، تعظيمًا لشعائر الله.

وقال ﷺ: «المساجدُ مجالِسُ الأنبياءِ»، يعلِّمنا بذلك أن المساجدَ أماكنُ ذكرٍ وعلمٍ وعبادة، لا لَغْوَ فيها ولا رفثَ ولا بيعَ ولا شِراء. ومن السُّنة إذا دخل المسلمُ المسجدَ أن يستقبل القبلةَ، ويصلِّي ركعتين تحيةَ المسجد، ويجلس بالسكينة، ويُنصِت للذِّكرِ والخطبةِ والعلم.

وكان ﷺ إذا حدَّث الحديثَ أو سُئِل عن الأمر كرَّره ثلاثًا؛ ليفهم السامع، وليَفْهَم عنه من يَنقُلُ الكلام، فربَّى بذلك أصحابَه على التثبُّتِ في النَّقْل، وعلى الوضوح في البيان، حتى قال جابرٌ رضي الله عنه: «كان إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادها ثلاثًا حتى تُفْهَم عنه».

ومن هديه ﷺ زيارةُ المرضى وتفقُّدُ الضعفاء، فكان يزورُ غلامًا يهوديًّا مريضًا ويدعوه إلى الإسلام، ويعودُ أصحابه إذا مرضوا، ويمسحُ على رؤوسِ الأطفال، ويحمل الحسنَ والحسينَ وهو يصلِّي، فيطيل السجود إذا ركبا ظهرَه، ولا يَزَعُهُما عن لعبِهما؛ رحمةً بهما، وتعليمًا للأمَّة أن الرحمةَ خُلُقُ الأقوياء لا الضعفاء.

هكذا كانت أخلاقُ النبيِّ ﷺ في بيتِه وشارعِه ومسجدِه، في خاصَّته وعامَّته؛ سُنَنٌ وهداياتٌ تُحيي القلوبَ، وتُهذِّبُ النُّفوسَ، وتُقيمُ الإنسانَ على صراطٍ مستقيم، حتى يكونَ في دُنياه على خُلُقٍ عظيمٍ يرجو به رضا ربِّ العالمين، ويَسيرُ على آثارِ نبيِّه الكريم ﷺ.■

طلبات أميركا من حكام بلاد الحرمين عبارة عن «أوامر» للتنفيذ

في أول إعلان صريح، وخلال لقائه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في البيت الأبيض قال ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان الثلاثاء (١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٥) إنه يرغب في المضيّ نحو الاعتراف بإسرائيل «في أقرب وقت ممكن».

وقال بن سلمان : «نرغب في أن نكون جزءا من الاتفاقيات الإبراهيمية. لكننا نريد أيضا التأكد من أن الطريق نحو حلّ الدولتين مرسوم بوضوح». وأضاف أنه أجرى «مناقشة بنّاءة» بشأن هذا الملف مع ترامب، مؤكدا «سنعمل على ذلك لضمان تهيئة الظروف المناسبة في أقرب وقت ممكن لتحقيق هذا الهدف».

من جانبه قال الرئيس الأمريكيء إنه تحدث مع ولي العهد السعودي بشأن اتفاقيات إبراهام معبرا عن اعتقاده بأنه تلقى ردا إيجابيا.وفي موضوع آخر اعتبر ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان أن قتل الصحافي جمال خاشقجي على يد عناصر سعوديين في قنصلية المملكة في اسطنبول كان «خطأ كبيرا»

. وقال إن عملية القتل التي وقعت في العام ٢٠١٨ وأثارت استياء دوليا «مؤلمة، وكانت خطأ كبيرا، ونحن نبذل كل ما في وسعنا لئلا تتكرر». من جهته، قال ترامب إن خاشقجي الذي كان يحمل إقامة في الولايات المتحدة وكاتب مقال في صحيفة واشنطن بوست، كان «مثيرا للجدل للغاية»، مضيفا «كثيرون لم يكونوا معجبين بهذا السيد الذي تتحدثون عنه. أكنتم معجبين به أم لا، حدثت أمور، لكنه (في إشارة الى بن سلمان) لم يكن على علم بأي شيء». وأضاف قائلا إن «أشياء تحدث».

وهاجم ترامب الصحفية التي وجهت السؤال، قائلا: «لا داع لأن تقومي بإحراج ضيفنا عن طريق توجيه مثل هذا السؤال إليه».وأشاد ترامب بولي العهد السعودي لدى ظهورهما أمام وسائل الإعلام، وقال «لدينا رجل محترم للغاية في المكتب البيضاوي اليوم»، واصفا الأمير محمد بن سلمان بأنه «صديق لي لفترة طويلة للغاية».

كما أشاد ترامب بالعاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز والد ولي العهد. وقال ترامب، في إشارة إلى ولي العهد، «أود أن أشكرك لأنك وافقت على استثمار ٦٠٠ مليار دولار في الولايات المتحدة. ولأنه صديقي، فقد يرفع ذلك إلى تريليون دولار... سأعمل على ذلك».

وعلى إثر ذلك أبلغ ولي العهد السعودي الرئيس ترامب أن الرياض ستزيد التزاماتها المالية تجاه الولايات المتحدة من ٦٠٠ مليار دولار إلى تريليون دولار.

ورد ترامب قائلا «جيد، أحب هذا كثيرا». وتلقى الأمير محمد سؤالا عما إذا كانت السعودية قادرة على الحفاظ على الاستثمارات في ظل المستوى المنخفض الحالي لأسعار النفط، لكنه أشار إلى أن الاتفاقات الخاصة برقائق الكمبيوتر تتناسب مع تطور بلاده.

وقال بن سلمان : «نحن نؤمن بمستقبل (...) أمريكا. أعتقد، سيدي الرئيس، أن في إمكاننا اليوم وغدا أن نعلن أننا سنزيد مبلغ الـ٦٠٠ مليار إلى نحو تريليون دولار (ألف مليار) للاستثمار».

الوعي: هكذا بطلب صغير من حكام بلاد الحرمين تسرق أميركا المزيد من أموال الأمة الإسلامية وإلا فكما قال ترامب من قبل لن يستمر هؤلاء الحكام أسبوعان في الحكم كونهم موظفون عندها ومغتصبون للحكم والسلطان رغما عن الأمة.

حجم الاختراق الأمني داخل حزب إيران يكشف حجم الاختراق الأمني داخل إيران نفسها

أعلن الجيش الإسرائيلي تفاصيل الغارة التي استهدفت هيثم الطبطبائي، الرجل الثاني في حزب الله، عبر ضربة مفاجئة لشقة في الضاحية الجنوبية دون أي تحذير مسبق، ما يعكس الطابع الاستخباراتي للعملية بعد التحقق من وجوده داخل الموقع. وتتهم إسرائيل الطبطبائي بأنه قيادي مركزي في الحزب منذ الثمانينيات، تولى قيادة قوات الرضوان وإدارة عمليات الحزب في سوريا، وتعتبره واشنطن من أبرز قادته العسكريين، وقد رصدت ٥ ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات عنه. وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي إن الاغتيال جاء بعد رصد محاولات الطبطبائي لإعادة بناء القوة العسكرية لحزب الله، معتبرًا العملية «ضربة قوية لقدرة الحزب على القيادة والسيطرة». وشدد على أن إسرائيل لن تسمح بإعادة تسليح حزب الله، سواء عبر تنفيذ بنود الاتفاق أو باستخدام القوة، داعيًا الحكومة اللبنانية إلى مواصلة العمل على نزع سلاح الحزب. وأكد المتحدث أن أي محاولة من حزب الله للمساس بأمن إسرائيل ستواجَه بـ«قوة أشد»، معتبرًا أن ما يجري يبرز ضعف أداء الجيش اللبناني في كبح نشاط الحزب.

الوعي: هناك مثل شعبي مفاده «دود الخل مِنهُ.. وفيه». والفظائع التي قامت بها دولة إيران بالأمة الإسلامية سواء داخل إيران أو على امتداد الأمة تؤكد أن العمى والغرور الذي أصاب إيران يمنعها من اكتشاف العملاء داخل صفوفها وخاصة في صفوفها الأمامية إن لم يكن

قائدها ينفذ مؤامرات الغرب بنفسه. ناهيك عن تلقي الضربات الموجعة من الجواسيس وحيدا بعد أن خسرت ثقة الحاضنة أي عموم الأمة.

تركيا تستقبل رئيس دولة الفاتيكان على كلمات نشيد «طلع البدر علينا»

أثارت مراسم استقبال بابا الفاتيكان، ليو الرابع عشر، في تركيا موجة انتقادات واسعة، إذ رفعت له الفرقة الموسيقية عند دخوله قاعة جيهانوما في أنقرة أنشودة «طلع البدر علينا».أعاد عدد من الأتراك نشر فيديو المراسم، متسائلين عن سبب استقبال بابا الفاتيكان بهذه الطريقة. كما أعرب كثيرون عن استيائهم من تشبيه استقبال البابا بدخول الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة في القصة المعروفة، معتبرين أن ما حدث خلط ديني وثقافي غير لائق.

الوعي: من تآمر على اهل غزة و القدس و أهل الشام و ما زال يتآمر عليهم لصالح سيدته أميركا ماذا يتوقع منه؟

الدخول في «التحالف الدولي» باب للاحتلال المباشر و قتل المسلمين

قال مصدر خاص لـ«تلفزيون سوريا» إن عنصرا من الأمن الداخلي قتل، وأصيب ٣ جنود أمريكيين، إثر تعرضهم لإطلاق نار في مدينة تدمر وسط سوريا، خلال قيامهم بدورية مشتركة. وفي وقت سابق، لفت مصدر أمني لوكالة الأنباء السورية، إلى أن قوات الأمن السورية وقوات أمريكية تعرضت لإطلاق نار قرب مدينة تدمر، اليوم السبت، أثناء تنفيذ جولة ميدانية مشتركة. ونوه أن الحادث أسفر عن إصابة عنصرين من قوات الأمن السورية وعدد من أفراد القوات الأمريكية، فيما قُتل مطلق النار، دون ورود معلومات إضافية حتى الآن حول دوافع الحادث أو ملابساته. وأشار توقف حركة السير على الطريق الدولي دير الزور دمشق مؤقتاً على خلفية الحادث، بالتزامن مع تحليق مكثف للطيران في أجواء المنطقة. وذكر أن مروحيات أمريكية تدخلت لإجلاء المصابين إلى قاعدة التنف بعد حادث إطلاق النار.

الوعي: و هل ظن الجولاني أن تكاليف دخول «التحالف الدولي» هينة كون أميركا راضية عنه؟ لن ترضى عنه أميركا حتى يصبح على ملتها ويباشر بقتل المسلمين بيديه لا مجرد الاستعانة بقواته الواثقين به. وبالمقابل فهناك من الأمة من لا يقبل بالاحتلال والذل و المهانة ولن يرضى به حتى لو أتى الجولاني بآلاف السحرة لمحاولة إقناع الأمة أنه «المهدي المنتظر» وأنه «من يصالح الروم ليقاتل عدوا من ورائهم». وقد قال أحدهم كلمته في تدمر على "طريقته".

دولة لبنان تحاول إقناع دول بتمويل مشاريع حيوية وأن الأموال لن تتحول بشكل أو آخر إلى جيوب المسؤولين لزيادة ثرواتهم

اعتبر عامر بساط، وزير الاقتصاد والتجارة اللبناني، في مقابلة مع الشرق، عقد مؤتمر «بيروت ١» بحد ذاته نجاحا بعد سنوات من الانقطاع، إذ جمع عشرات المستثمرين العرب والأجانب. وتناولت الجلسات التحديات والمتطلبات الاستثمارية مباشرة، مع إطلاق شعور بالأمل والفرص المستقبلية، خاصة في القطاعات الحيوية مثل الكهرباء والزراعة والصحة.

الوعي: المثل الشعبي يقول: يلي بجرب المجرب عقله مخرب. لكن دأب بعض حكام المسلمين على إعادة ضخ الأموال إلى لبنان كونهم موظفون عند نفس الجهات الاستعمارية ولكونهم يشاركون حكام لبنان في سرقة أموال الأمة الإسلامية مع فارق أن من يضخ الأموال من جديد يضع أيديه على أموال الأمة الضخمة مثل النفط والغاز و يشارك أرباحه مع حكام الغرب المستعمر. وهذا هو شرط الغرب لبقاء الحكام المسلمين «الدمى» في أماكنهم ولتمديد فترة أعمالهم «التشبيحية» والتسلطية على الأمة و أعمال «قطع الطرق». فحكام لبنان و إن سرقوا أموال الشعب مرات ومرات وحتى من الحسابات البنكية الشخصية للمواطنين، يشعرون بمأمن من المحاسبة بوجود حكام إقليميين عملاء للغرب يسعفونهم في كل ضائقة وكذلك بوجود فئة من الأمة لا تعرف حقوقها ولا واجباتها الشرعية ولا ما يتوجب على الحكام فلا تحاسبها على أساس الإسلام بل تسير مع الواقع كيفما كان.

في احتفال ذكرى سنة على هروب بشار حكام الشام الجدد يسيئون إلى منبر الجامع الأموي بذكر «محاسن» طاغية جزيرة العرب العلماني بن سلمان و يحاولون كبح الأمة عن قتال دولة يهود بالمخادعة و الاكتفاء بلباس الثياب العسكرية

كشف الرئيس السوري أحمد الشرع، الإثنين، عن هدية تسلمها من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان. وأعلن الشرع أن ولي العهد السعودي قدم له قطعة من ستار الكعبة المشرّفة تحمل الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، ليتم وضعها في رحاب المسجد الأموي بالعاصمة دمشق.

وأدى الشرع صلاة الفجر في المسجد الأموي، مرتديا الزي العسكري»، وألقى كلمة بمناسبة الذكرى الأولى لسقوط نظام بشار الأسد.

الوعي: يبدو أن الجولاني ما زال مستخفا بقدرات الأمة لأنه يقيس الأمة على تجربته وتجربة أقرانه الذين ربطوا مصيرهم أثناء ثورة الشام بالدول «الصديقة» والتي أمدتهم بالدعم المشروط

لتفريغ ثورة الشام من غاياتها أي الانحراف عن أهدافها الحقيقية بحيث لا يسقط النظام التابع للاستعمار الغربي ولا تسقط مؤسساته وجميع رموزه بل يتم دمج عناصر النظام القديم بالنظام الجديد ولا يتم الانفكاك عن نفوذ الدول الغربية والمنظومة الغربية الاستعمارية أي أميركا ومنظماتها الرديفة كالأمم المتحدة ولا منظمات العملاء الصغار كجامعة الدول العربية ناهيك عن دفعها للتطبيع مع دولة يهود و لا يتم اقامة حكم الاسلام بل يتم اعادة تعويم روابط الجاهلية الوطنية العنصرية تحت مسمى الهوية البصرية وغيرها مثل

البطريرك الراعي: «طلعت سوريا الجديدة دولة إسلامية يعني المش مسلم مش محله بسوريا».

الوعي: أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير ولاية لبنان في ٧ جمادى الثاني ١٤٤٧ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٥ م بيانا صحفيا علق فيها على تصريحات البطرك التي أدلاها في لقائه مع قناة الجديد اللبنانية في برنامج «هيدا أنا» مع الإعلامية سمر أبو خلي. و في الإصدار ذكر المكتب الإعلامي ما يلي:"إنّ المقام لا يتسع لذكر التاريخ المشرف للمسلمين مع النصارى الذين عاشوا معهم وبينهم، ولا يتسع حتى لذكر مواقف الكتاب والمفكرين الذين أنصفوا في وصف تعامل المسلمين مع النصارى من مثل أمين معلوف وشكيب أرسلان، لكن نؤكد أنّ نظرة الإسلام هذه ودولته للنصارى واضحةٌ عند البطرك الراعي تحديداً، لا سيما بعدما زاره وفد من حزب التحرير/ ولاية لبنان في ١٢/١/٢٠٢١م، وسلَّمه كتاباً مفصَّلاً بهذا الشأن، ومما جاء في ختامه: «الحذر كل الحذر من المشاريع التي يسوقها الغرب في لبنان، وبخاصةٍ أمريكا، بعدما صارت شواطئ لبنان تعوم على ثروة نفطية وغازية هائلة، تجعل لبنان محط مطامع في ثروته، بعد أن استهلكته أمريكا سياسيّاً واجتماعياً... والحذر كذلك من السير في التنافس الدولي على لبنان، وبخاصة بين أمريكا وفرنسا، امتداداً للصراع على الثروة الغازية الكبيرة في شرق المتوسط... لذا لا بد من أن يكون إصراركم إنما هو على ارتباط لبنان بأصله ومنطقته ومحيطه، وبمن يعمل مخلصاً لإنقاذ لبنان ومحيطه من براثن التبعية للغرب، سواء أكان هذا الغرب أمريكياً أو فرنسياً أو غيرهما». ومما جاء فيه كذلك: «وها هو اليوم يعيش دوَّامة الفتنة نفسها (القديمة الجديدة) من التدخل الخارجي (أمريكي - أوروبي)، والتي إن أنتجت أي جديد فستكون صيغة مخففةً أخرى. وكل هذه الصيغ تقوم على قانون أن هناك غالباً ومغلوباً، ولقد لُفَّ هذا الكيان بألف إطار وإطار من التكاذب الذي جعل منه قدس الأقداس، بينما هو كيانٌ لم ينجح في تشكيل هويَّة موحدة له، ونظامه السياسي هش..».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾

الأستاذ إبراهيم سلامة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٤-٧].

إنَّ المُبطِلين والبُغاة والطُّغاة يظنّون أنّهم قادرون على إيقاع الأذى بمن يشاؤون، وأن يفعلوا بالناس ما يريدون بلا حسيبٍ ولا رقيب؛ فيُظهرون الاستكبار والبطش والتنكيل والقتل لإرهاب الناس، واستقطاب بعضهم أعوانًا وزَبانيةً يُستعملون أدواتٍ صمّاء لإيقاع الأذى. ويحسبون أنفسهم قوّةً لا تُقهر ولا تُحاسَب ولا تُسأل. وهؤلاء يجب على المؤمنين أن يقفوا في وجوههم، وأن يأخذوا على أيديهم، وأن يَكُفُّوا أذاهم؛ **لكنّ ذلك لا يكون بالانفعال المجرد**، بل بطاعةِ الله، وإقامةِ دينه، وتحكيمِ شريعتِه، والتزامِ منهاجِه في الحكمِ والتحاكم، مع صدق التوكّل عليه وحسن الثبات. والمؤمنُ لا يَغتَرُّ بقوةِ الباطل مهما اشتدّ سلطانُه، ولا يُخدَعُ ببريقه؛ فإنّ الباطل إلى زوالٍ وإن طال أمدُه، إذا واجهه المؤمنون بالإيمان والعمل والالتزام بشرع الله.

ثم يبيّن الله تعالى كرامةَ من يُقتل في سبيله، فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ فأعمالُهم محفوظةٌ غيرُ ضائعة، بل هي أعمالُ طاعةٍ ورضوان. ويتعهّدهم الله بالهداية وإصلاحِ الحال: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾، ثم يجزيهم الجنّة: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾؛ أي يُدخِلهم جنّةً وعدهم بها، كأنّهم عرفوا نعيمَها وذاقوا بشائرَها حين صدّقوا وعدَ الله، وباشروا الجهادَ ابتغاءَ مرضاته.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۝١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]. فبهذه الكرامة والرضا والعناية، يحرّضُ الله المؤمنين على طاعتِه، والتجرّدِ له، وإقامةِ دينه في واقع الحياة. والشهداءُ من أكرمِ القلوب وأطهرِ الأنفس؛ وأعفّهم عن متاع الدنيا وزينتها، وأحرصهم على حماية المسلمين وديارهم، فيبذلون أرواحَهم نصرةً لدين الله.

ومن هنا يأتي نداءُ الوعد والشرط: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾. ونُصرةُ الله تكون بالتجرد لطاعتِه دون إشراكٍ به، وبأن يكونَ اللهُ ورسولُه ﷺ أحبَّ إلى قلب المؤمن من نفسه وماله وولده، وبأن تكون كلمةُ الله هي العليا. وتظهر هذه النصرةُ بالتزام شرع الله ومنهاجه، وبالعدل والإنصاف في شؤون الحياة كلها، وألا يُقعد المؤمنَ عن نصرة دينه شيءٌ من الخوف أو التردد، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فالتثبيتُ يكون قبل المعركة بحسن الإعداد وبذل الجهد والوسع مع إخلاص النية، ويكون في المعركة عند اشتداد الكرب، ويكون بعد النصر بالثبات على الطاعة، وإقامة العدل، وحسن الرشد والإحسان، لئلا ينقلب النصرُ إلى فتنة.

وقال الله تعالى: ﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٤-٧٦].

فالمؤمنون يقاتلون في سبيل الله لنصرة دينه، وحماية المسلمين، وكسر شوكة الظالمين، ونصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؛ أولئك الذين يرفعون أكفَّ الضراعة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ...﴾. وهذا نداءٌ يستنهض الأمة: ما الذي يقعدُها عن نصرة إخوانها، وعن دفع العدوان عنهم؟!

وقد قال رسول الله ﷺ: »ما من امرئٍ يَخذُلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنتهكُ فيه حُرمتُه ويُنتقصُ فيه من عرضِه، إلا خَذَلَهُ اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرته، وما من امرئٍ يَنصرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتقصُ فيه من عرضِه ويُنتَهكُ فيه من حُرمته، إلا نَصَرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحبُّ نُصرته» رواه أبو داود.

والواقعُ الذي تتكالب فيه الأمم على المسلمين ينبغي أن يكون دافعًا لاستئناف الحياة الإسلامية على أساس العقيدة والشريعة، لا سببًا للتثبّط والاستكانة للظالمين.

ثم يقرّر الله الفرق بين الفريقين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾؛ فطريق المؤمنين عبادةٌ وطاعةٌ ومنهجٌ، وطريقُ أهل الطاغوت أهواءٌ وأنظمةٌ وقوانينُ تُصادِم شرع الله. والطاغوتُ كلُّ ما قام على غير الإسلام وما لم يأمر به الله. ثم يقول سبحانه: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؛ فلا يُخيفنّكم الباطلُ وإن علا صوته، فإنّ كيده ضعيفٌ أمام صدق الإيمان وحسن الثبات.

وقال الله تبارك وتعالى:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ...﴾[التوبة: ١١١].

فالله -وهو الخالقُ المالك- يتفضّل على عباده المؤمنين بصفقةٍ عظيمة: يبذلون النفسَ والمالَ في طاعته، ويجزيهم الجنةَ وعدًا حقًّا في الكتب والقرآن. والمؤمنون يوفون بعهد الله:﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾، لا يثنيهم عن الوفاء شيءٌ إذا تبيّن الحقّ واستبانت الطريق، ثم يختم الله ذلك بالبشارة: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

واللهُ من وراء القصد.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.■

كيان يهود كيان لقيط قائم بحبل من الناس ويوشك أن ينقطع بعد أن انقطع حبل الله

أكد المستشار الألمانى فريدرش ميرتس أن الدعم العسكرى الذى قدمته ألمانيا ودول أخرى لكيان يهود عبر العقود الماضية كان عاملاً حاسمًا فى بقاء كيانهم، قائلا: «**لو لم نقدم نحن وغيرنا هذا الدعم العسكرى (لإسرائيل)، لما كانت الدولة موجودة اليوم**».

وفي السياق ذاته قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، أن الاعتراف بالجولان لم يكن مطلبًا من أي طرف، حتى من أقرب حلفائه، لكنه اتخذه بسرعة بعد اطلاعه على الأبعاد الأمنية والتاريخية للمنطقة.

وفي مقابلة سابقة له مع «ديلي كولر»، قال ترامب: «لم يقدم أحد لإسرائيل ما قدمته، بما في ذلك خلال الهجمات الأخيرة على إيران.« وأكد ترامب «أن الهجمات الأميركية خلال الحرب التي استمرت ١٢ يومًا دمرت البرنامج النووي الإيراني بالكامل. مضيفا: «لقد دمرناهم بتلك الطائرات بطريقة لم يشهدها أحد من قبل.»

هذه عينة صريحة مما يبقي هذا الكيان اللقيط موجودا لغاية اليوم، فهو في حقيقته أوهن من بيت العنكبوت، وقادته كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد، فرئيس وزراء يهود وهو يتحدث عن كيانهم وقدراتهم وحروبه السبعة يعلم كذب نفسه هو ومن معه في حكومته، كيف لا يعلم وهو يرى حكام المسلمين والجوار متواطئين معه ويوفرون الحماية لكيانه ويمسكون بجيوش الأمة وقواها من أن يصلوا إليهم!، ويرى كيف يقف الغرب وعلى رأسه أمريكا بقضه وقضيضه معهم، يمدونهم بالسلاح والمال والخبرات والقرارات، فيوفرون لهم كامل الغطاء ليمارسوا غطرستهم ووحشيتهم!! فهذا حبل الناس المتبقي لهذا الكيان بعد أن انقطع عنهم حبل الله بعد أنبيائهم، فلم يبق لهم إلا حبل الناس، أمريكا وأتباعها، وهو يكاد ينقطع، فقد قال الرئيس الأمريكي ترامب خلال الحفل السنوي للبيت الأبيض بمناسبة عيد الحانوكاه اليهودي، أمام قادة المجتمع اليهودي الأمريكي: «**إن (إسرائيل) واللوبي اليهودي فقدا نفوذهما في واشنطن وإن الكونغرس أصبح معادياً للسامية.**« وحذر ترمب من أن المجتمع اليهودي وحلفاءه «عليهم أن يكونوا حذرين للغاية لأن أموراً سيئة تحدث لليهود وللمكانة العالمية (لإسرائيل)». فصدق الله القائل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

في ذروةِ مأساةِ أهلِ غزّة؛ حيث تُقاسُ الأيامُ بعددِ الشهداء، وتُقاسُ الليالي بعددِ الأطفال الذين ناموا بلا سقفٍ ولا دواء، تُرفعُ راياتُ «كأس العرب» كأنها رايةُ نصرٍ تُغطي الهزيمة، وتُدارُ الشاشاتُ لتَصنع من هدفٍ في شباكٍ حدثًا، ومن بكاءِ أمٍّ على رضيعها «خبرًا عابرًا». تُشغَلُ الشعوبُ بفوزِ هذا وهزيمةِ ذاك، وتُسقى عيونُها نشوةً تُنسيها الدم، وتُدعى إلى الفرح في ساعةٍ كان أَولى بها أن تُدعى إلى الوقوف والنجدة والصدق مع الله ومع التاريخ.

أيُّ كأسٍ هذه؟ إنها كأسُ الغفلة... كأسٌ تُتجرّعُ ليُخمَدَ الوعي، وتُدفنَ الذاكرة، وتبردَ الأسئلةُ التي تُخيفُ الطغاة. كأننا نقول للجرح: اصمت؛ فالمباراةُ بدأت! كأننا نقول للمشافي المهدَّمة: انتظروا؛ فالتعليق الرياضي أعلى صوتًا من أنينِ «كذا ألف» طفل، و«كذا ألف» امرأةٍ ثكلى، و«كذا ألف» جريحٍ يئنُّ في غزة وسواها؛ جراحاتٌ لم يتقدّم أحدٌ من «العرب» لتضميدها إلا ما كان من شكاوى وتنديدٍ مُعلَنٍ لا يوقفُ طائرةً ولا يردُّ صاروخًا.

وغزّة ليست وحدها. انظروا إلى السودان وهو يُستنزَفُ حربًا وتمزّقًا، وإلى اليمن وهو بين فقرٍ وحصارٍ ودوّامةِ نزفٍ طويل، وإلى سوريا التي لم تجفّ دموعُها منذ سنين، وإلى لبنان الذي يُترَكُ على حافة الانهيار والخوف، وإلى كشمير والروهينغا وتركستان الشرقية... مآسٍ تتوالد، ونحن نُعلّقُ عليها بأغانٍ، ونُسكِتُها بمهرجان.

وليس هذا جديدًا؛ فهكذا تُستعملُ كرةُ القدم -حين تُرادُ «مُسكِّنًا» - بعد الجراح الكبرى. في عام ١٩٨٢ كانت بيروت تُحاصر وتُقصف، وفي العام نفسه كان العالم يَسهرُ على كأس العالم في إسبانيا؛ تُذاعُ الأهدافُ بينما تُطمرُ الأحياءُ تحت الركام. وفي عام ٢٠١٤ كانت شاشاتُ العالم مغموسةً بمونديال البرازيل، وفي الأيام نفسها انفجرت غزة نارًا جديدة؛ فاختلطت الهتافاتُ بنشرات القصف، وغلبت الهتافاتُ.

يا أمة... ليست المشكلةُ في لعبةٍ تُمارَس، بل في قلبٍ يُباع، في رقص على الجراح. في أن نُستَدرَجَ إلى فرحٍ مصطنعٍ في أمر تافه، ونحن نرى أشلاءَ إخوتنا ولا نغضب غضبةَ الحق. قال ﷺ: «المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظلِمُه ولا يُسلِمُه»، ومعنى «ولا يُسلِمُه» لا يتركه مع من يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه. فهل دفعتم عن إخوانكم المسلمين الذين يسامون سوء العذاب في أيامكم هذه بكأس العرب؟

الموقع الرسمي لمجلة الوعي: http://www.al-waie.org
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك: https://www.facebook.com/alwaie.info
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على إكس (التويتر): https://x.com/alwaiemagazine
القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام: https://www.instagram.com/alwaiemagazine/
عنوان المجلة على الديلي موشن: https://www.dailymotion.com/alwaiemagazine